كتاب

تتمة البيان في تاريخ الأفغان

تأليف

السيد جمال الدين الأفغاني

اعتنى بتصحيحه وطبعه على نفقته

علي يوسف الكريدلي

صاحب ومحرر جريدة العلم العثماني

الطبعة الاولى بمطبعة الموسوعات بباب الخلق بمصر

« سنة ١٣١٨ هـ — و ١٩٠١ م »

صورة فخامة الامير الجليل والشهم النبيل

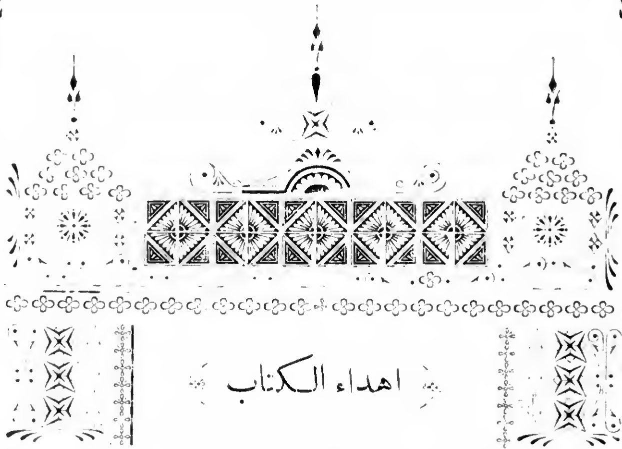
عبد الرحمن خان أمير افغانستان

ايد الله كلمته



ولد في سنة ١٨٤٥ وجلس على اريكة الامارة الحالية في سنة ١٨٨٠

هذه الصورة مستعارة من ادارة مجلة (الهلال) الغراء



اهداء الكتاب

لفخامة الأمير الجليل صاحب المجد الأثيل الأمير عبد الرحمن خان أمير أفغانستان أدام الله وجوده وأكمد عدوه وحسوده ،

أيها الأمير الذي رقي رُقيّ المعالي * وأصبحت آثاره الحسان في بلاد الأفغان غرةً في جبين الأيام والليالي * أتشرف وانا أعتقد في نفسي بأني دون مقامك أدام الله شمس حياتك * بأن أقدم الى سموك هذا المؤلف النفيس الذي تضمن تاريخ بلادك * وما شيدته فيها من آثار طريفك وتلادك * وان كان البحر

لا تهدى اليه قطرة ماء * ولا البدر مصباح يضيء في ظلماء * وانما هي شنشنة ألفها الطبع قديما * ولم أزل أصبغ بها أديما * وما ذلك الا لأن من تمسك بأذيال الأمراء شاد وساد * ونفقت بضاعته بعد الكساد * ومولاي الأمير أعزه الله أفضل من أخذ بناصر العلوم * وأحلها مكاناً عليا بين العموم * وان شاء الله يفوز هذا المؤلف من عنايته الجليلة بالحظ الأوفر * ويضوع نشره كأنه المسك الأذفر * أبد الله يامولاي دولتك * وأعلى في الخافقين كلمتك * ما طلعت شمس وبقيت نفس * وظلل غمام ولاح بدر تمام

عبدك الخاضع

علي يوسف الكريدلي

صاحب ومحرر جريدة العلم العثماني بمصر



مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان * وجعل سيرة الأوائل عبرةً للأواخر في كل مكان وزمان * والصلاة والسلام على الفاتحة والختام * وعلى آله الأبرار وأصحابه الكرام

أما بعد فقد طالما ترنمت الجرائد على اختلاف نزعاتها في جميع الأقطار والامصار بما لصاحب العظمة والفخار الذي استأثر بمحاسن الآثار الأمير عبد الرحمن خان أمير أفغانستان خلد الله ملكه مدى الدوران من

الهمة الشماء والأيادي البيضاء والاعمال المبرورة والمساعي المشكورة * وترنحت بتلك الوصية الذهبية [1] التي وجهها الى ولده وولي عهده سمو الامير حبيب الله خان حفظه الكريم المنان ليعمل بها ويسير عليها عند ارتقائه عرش الامارة الافغانية الجليلة واستلامه مقاليد الامور والأحكام ومما أوتيه فخامته أعزه الله من الحكمة البالغة والسياسة العالية والآراء السديدة والأفكار الرشيدة وما يأتيه كل يوم من ضروب الاصلاح العائد على بلاده وعلياه بالتقدم والنجاح

(١) نظراً لما احتوت عليه هذه النصيحة الجليلة الجديرة بان تكتب بماء الذهب من جوامع الكلم ولطائف الحكم قد وضعتها في آخر هذا الكتاب حباً في تعميم نشرها فأستلفت الانظار اليها . ومما يجب الاشارة اليه انها منقولة عن العدد ٣٠٧٨ من جريدة المؤيد الغراء الصادر في يوم الأثنين ٦ صفر سنة ١٣١٨ (٤ يونيو سنة ١٩٠٠) والمؤيد ترجمها عن جريدة محمدان الاسلامية البهية التي تصدر باللغة الانكليزيه في مدينة مدراس بالهند . وهذه ترجمتها عن جريدة (حبل المتين) الزاهرة التي تصدر باللغة الفارسية في مدينة كلكتا بالهند أيضاً

وقد انشرحت مما كتبته الجرائد المذكورة وزينت به صفحاتها عن ذلك الأمير المسلم الجليل الذي جمع شرف الأخلاق الى شرف الأعراق وجليل الآداب الى كرم الأنساب* صدور الموحدين وابتسمت ثغورهم واهتزت أعطافهم واشرأبت أعناقهم وطمحت نفوسهم الى استطلاع تاريخ الامة الافغانية الرفيعة الشان ومعرفة عوائدها وفضل رجالها البواسل * ولا عجب فالمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً

ولما كانت هذه الامة الاسلامية الجليلة البالغ عددها بوجه التقريب ستة ملايين من النفوس تجمعنا واياها الرابطة الدينية والنفس ميالة بحكم معتقدها الى الوقوف على فضائل الأمة المحمدية حيثما أقامت وأينما حلت * فقد تجشمت الأتعاب وتصفحت وجوه الكتب وقلبت الأسفار مدققاً للوقوف على شيء من تاريخ تلك الامة العزيزة حتى أدركني الملل وكدت أقطع حبال الأمل* ثم وقفت على كتاب جليل في هذا المعنى جمع

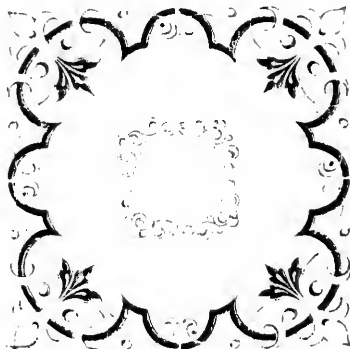
فأوعى يسمى (تتمة البيان في تاريخ الافغان) لمهبط أسرار الحكمة وفيلسوف الاسلام والمسلمين السيد جمال الدين الافغاني الشهير رحمه الله رحمة واسعة * فاستخرت الله جلّ شأنه وعلا قدره في طبعه وضم شمله وجمعه بعد الشتات خوفاً من الضياع والفوات * وما ذلك الا لأمرين جايلين وبالأعتبار جديرين أحدهما خدمة العلوم والمعارف وإظهار ما لتلك الأمة الاسلامية العظيمة من الفضائل وعلو الهمة * وثانيهما تخليد ذكرى فضيلة المؤلف أسكنه الله فراديس الجنان بالفضل والرحمة

والله اسأل وبنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم اليه أتوسل أن يعيد الى الاسلام مجده القديم ويوفق أمراء المسلمين وسلاطينهم وملوكهم الى ما فيه خيرٌ لهم ولبلادهم ورعاياهم * وان يحفظ البلاد الاسلامية من مطامع الاعداء وشرورهم * وأن يؤيد بقوته الصمدانية وعنايته الربانية سمو مولانا المحبوب وولي نعمتنا ومالك قلوبنا الامير الشهم الجليل (عباس باشا حلمي) الثاني المعظم

خديوى مصر الحالي مدى الليالي والايام والدهور والاعوام انه على كل شيء قدير وباجابة هذا الدعاء جدير

﴿ علي يوسف الكريدلي ﴾

صاحب ومحرر جريدة العالم العثماني بمصر



صورة المغفور له السيد جمال الدين الأفغاني

مؤلف هذا الكتاب



ولد في قرية (أسعد أباد) سنة ١٢٥٤ هجرية وتوفي

سنة ١٣١٤ بالاستانة العلية

هذه صورة مستعارة أيضا من ادارة مجلة (الهلال) الغراء



مقدمة المؤلف

لهجت الجرائد في هذه الأيام بذكر أحوال الأمة الأفغانية المعروفة بعزة النفس وشدة البأس وعلو الهمة التي لم تسمح نفوسها بأن تستظل بظل العجز ظل المكر والحيل والخداع القاضي على المستظلين به بالذل والهوان * ولم ترض الدخول تحت حماية الخضر المبتلي بجوع البقر والاستسقا الذي لم يشبعه ابتلاع مائتي مليون من الناس ولم يرود مياه التمس والقنج بل فغرفاه ليبتلع بقية العالم ويجرع مياه النيل ونهر جيحون (١)

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله بقوله هذا الي دولة انكلترا التى لم تصل الى ما وصلت اليه من القوة الهائلة والمكانة الرفيعة الا بجد رجالها واجتهادهم وخدمتهم لها بكل أمانة واخلاص ٠

وقادها شرف النفس لاختيار الموت الفاضل على الحياة الدنيئة تحت سطوة أجنبيين وان اقترنت برغد العيش وطيب المطعم والمشرب * فقام أميرها مستشيراً وزراءه الذين هم على أخلاقه وموصوفون بصفاته في ردّ سفارة حكومة الانكليز * فاجتمعت أراؤهم على إرغامها برد سفارتها لما عهد فيها من نقض العهود والمواثيق والتهاون برعاية الذمم كما أرغمها أباؤهم في الازمنة الخالية حيث فتكوا برجالها وصرعوهم بحد سيوفهم وها هي مصارعهم تشهد بذلك الى الآن * فحدا بنا ذلك الى ذكر مجمل أحوالها السابقة واللاحقة وعاداتها وأخلاقها ونمط حكومتها وطرز بلادها وذلك في فصول

وحبذا لو نهض رجال الحكومات الاسلامية الجليلة وفقهم الله جميعاً الى ما فيه الخير والصواب من رقدة الكسل والخمول واستيقظوا من نومهم وخدموا امتهم وبلادهم بجد واجتهاد وصدق وأمانة واخلاص حقيقي (كما يفعل الانكليز وغيرهم من رجال الحكومات الغربية) لتسود امتهم وترتفع شأن بلادهم * حقق الله الآمال ووفق امراء الاسلام وملوكهم الى صالح الاعمال

الفصل الاول

في اسم هذه الامة

ن الفارسيين يسمونهم بأفغان ويعللون ذلك بأنهم حينما أسرهم (بخت نصر) كان لهم أنين وحنين والانين يسمى بالفارسية « افغان » فأطلق عليهم هذا الأسم من ذلك الوقت * وقيل ان أفغان اسم لحفيد (شاؤول) وهو جدّ الافغانيين فسموا بأسم جدّهم * وعوام الفرس يطلقون عليهم اسم « أوغان » وهو قريب من الأول والهنود يسمونهم « بتان » * وبعض قبائل الافغانيين كالمقيمين « بقندهار » و « قزن » يسمون أنفسهم (بشتو) و (بشتان) بالباء الفارسية فيهما * وبعضهم كساكني « خوست » و « كورم » و « باجور »

يسمون أنفسهم (بغتو) و (بغتان) بالباء الفارسية فيهما * ومن دقق النظر فى تقارب هذه الألفاظ يعلم انها من أصل واحد وان لفظ « أفغان » و « أوغان » و « بتان » محرّف عن (بغتان) * و « بغتان » و « بشتان » يصح أن يكونا مأخوذين من « باشتان » وهى قرية من قرى (نيسابور) * أو يكونا مأخوذين من « بشت » اسم مدينة من مدن خراسان ثم ركب مع الالف والنون الدالتين على الجمع فى لغة فارس على احتمال ان كان لهم بهما إقامة ثم استمر الأطلاق بعد مبارحتهما * والواو في (بشتو) و (بغتو) المحرّف عنه للدلالة على النسبة كالياء فى لغة العرب وحذفت مع الجمع تخفيفاً * ويحتمل أن يكونا مأخوذين من (بشيت) اسم قرية من قرى فلسطين على احتمال كونهم من بنى اسرائيل كما سنشير اليه

الفصل الثاني

في نسب هذه الامة

تتألف هذه الأمة من قبائل متعددة (كغلجائى) و (عبدل) و (كاكر) و (دزبرى) و (يوسف زئى) و(مهمند) و(افريدى) و(بنكش) وغيرها من القبائل التى تسمت باسماء أماكنها (نكوستي) و(كرمي) و(باجوري) وكل قبيلة تحتوى على عمائر مختلفة * مثلاً (الغلجائى) تشتمل على (هتاك) و (توخي) و(سليمان خيل) و(أوربا خيل) وغيرها * و (عبدل) تتركب من (باركزائى) و (علي كوزائى) و (علي زائي) و (باميزائى) * وكل عمارة من هذه العمائر تتضمن بطوناً وبطونها تتضمن أفخاذاً ولسنا الآن بصدد بيان أسماء البطون والأفخاذ

وما يختص بكل منها لضيق المقام * وتجتمع هذه الفروع في أصل واحد يسمى «بشتو» و«بشتان» وقد اختلف أرباب التواريخ في منبت هذا الأصل * فقال بعضهم انهم من طائفة خزر كانوا يسكنون بسواحل بحر (كاسبتان) وفي (باب الأبواب) و(الشروانات) وكانوا يغيرون على بلاد ايران وينهبون ممالكهم ثم نقلهم بعض الملوك الى شرق بلاد خراسان في زمن غير معلوم ونسبه بعض من لا خبرة له بالتواريخ الى الامير (تيمور الكوركان) وضعفه ظاهر اذ الأفغانيون في أماكنهم هذه من قبل زمن تيمور بقرون * وقال بعضهم انهم من أولاد الضحاك الذي اشتهر عنه في (ميثولوجيا) فارس بأنه كان له سلعتان بكتفيه يوهم انهما ثعبانان * وقال بعضهم انهم من الاشوريين الكلدانيين حتى ان بعض سياح الافرنج ادعى انه يوجد في اللغة الأفغانية بعض من الألفاظ الكلدانية * وقال بعضهم ان هذه الطائفة التي ملأت جبال الواقعة بين نهر (أتك)

و (خراسان) أعني طائفة الأفغان من نسل الأقباط المصريين الذين كانوا مع (سوزستريس) حين افتتاحه البلاد الهندية * وقال بعضهم انهم من أسباط بني اسرائيل وان (بخت نصر) أسكنهم بعد قتل كثير منهم في الجبال المسماة (قوهستان غور) أو (غور) فقط * وقال أنهم سموا مسكنهم الجديد بهذا الاسم تذكاراً للوادي الكائن بأرض الشام المسمى بغور وسموا ببغتو الذى هو محرف عن (بختو) نسبةً الى بخت نصر فان الواو في الفارسية كياء النسبة في العربية كما أشرنا اليه سالفاً * ثم تكاثر عددهم فتسلطوا على تلك الجهات وكان بينهم وبين يهود البلاد العربية مراسلات * ولما دخلت يهود العرب فى دين الاسلام بعثوا برجل منهم يسمى خالداً الى بلاد الأفغان يدعونهم الى الدخول فى دين الأسلام * فأرسل الأفغانيون جماعة من أمرائهم وكان فيما بينهم رجلٌ يسمى قيساً يتصل نسبهُ الى أسباط بني اسرائيل بسبع وأربعين واسطة والى ابراهيم بخمس

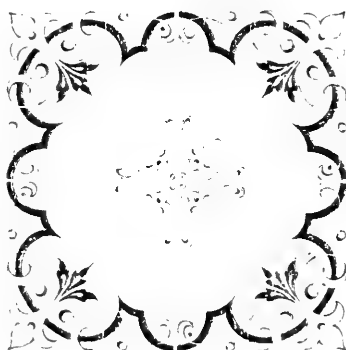
وخمسين واسطة * فقدمهم خالد الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصاروا مشمولين بعنايته وخصّ قيساً بعواطفه الخاصة وسماه عبد الرشيد ولقبه بالأمير وقال (صلى الله عليه وسلم) انه حقيق بهذا اللقب لأنه من نسل سلاطين بني اسرائيل * وهؤلاء المرسلون قد وافقوا النبيّ (صلى الله عليه وسلم) فى فتح مكة وظهرت عليهم آثار الجلادة في تلك الواقعة * ثم رجع قيس الى بلاده مصحوباً برفقائه بعد ان دعا النبيّ (عليه الصلاة والسلام) له بالخير والبركة وأصحبه أيضاً بجماعة من أهل المدينة لتأييده في ترويج أمر الأسلام وإقامة مراسم الدين الحقيقي فى جبال (غور) الواقعة فى خراسان * وبعد وصول قيس الى تلك الجهات أفرغ جهده في جلب قلوب أتباعه الى دين الأسلام وقد نال مقصده بدخولهم جميعاً فى هذا الدين * وتوفي قيس في سنة ٤٠ من الهجرة عن سبع وثمانين سنة وخلّف ثلاثة أولاد ذكور * وذهب بعضهم الى أن

نسبه يتصل الى شاؤول وله جميل ذكر الى هذا الوقت في بلاد الأفغان حتى ان أمراءهم يجتهدون في إيصال نسبهم اليه * وللأفغانيين شجرة أنساب يعتمدونها الى هذا العهد تؤيد هذا الأصل أعني انهم من نسل أسباط بني اسرائيل الاّ انه لا يوجد أدنى مشابهة بين لسان (بشتو) وهو لسان الأفغانيين وبين اللسان العبري أصلاً * نعم ان اعتقادهم بكونهم من هذا الأصل مع بعد المسافة بين أراضيهم ومقر الأسرائيليين ووجود محل يسمى (نخيبر) في بلادهم ربما يوجب ظن البعض بصحة هذه الرواية * وقال بعضهم أنهم من طائفة الأرامنة كانوا ساكنين في (شروان) التي كانت تسمى سابقاً (البان) بالباء الفارسية ويؤيد ذلك ان الكنائس الواقعة فى (قراباغ) المتاخمة لشيروان تسمى الى هذا العهد (بقندسار) ويقال لكبير تلك الجهات (اغوانج) ومعنى اغوانج في لغتهم كبير الأغوان* وان الأرامنة الساكنين فى (كنجه) و(روان) و (نخجوان) و (كيلان) يفتخرون بهذا الأسم أعنى

(اغوان) ويدعون الأغوانية فيحتمل أن يكون لفظ أفغان محرّفاً عن أغوان أو ألبان وأن يكون رئيس القندسار بعد انتقاله الي مقامهم الآنيّ وإقامتهم بخطة قندهار سماها بهذا الأسم أعني قندسار ثم حرّف الى قندهار * ويظهر من أطوارهم أنهم حين مهاجرتهم من أوطانهم الأصلية الى مستوطناتهم الحالية كانوا متدينين بالديانة النصرانية ثم أسلموا فيما بعد * وقد يوجد فيهم الى الآن آثار بعض عادات جدودهم كوضعهم مايشبه شكل الصليب على أقراص خبزهم

قول هذا البعض وإن لم يكن خالياً عن الصحة بالمرة الا أن تجويزه كون قندهار محرّفاً عن قندسار يدل على قلة بضاعته فى فن التاريخ * لأن قندهار من المدن القديمة الشهيرة المذكورة في (مهابران) كتاب ميثولوجيا الهنود * وقال بعضهم ان هذه الطائفة كانت موجودة بتلك الجبال من عهدٍ قديمٍ على إمتيازها على غيرها من الطوائف حتى قال انها هي التى حاربت مع اسكندر الرومي بل كانت فى

زمن (كشتاسب) وكانت تابعة لولاية (سجستان) تحت حكم رستم المشهور * وكانت تدفع له في كل عام عشرة جلودٍ من جلد البقر بأسم الخراج ثم جاهرته بالعصيان وامتنعت عن دفع هذا الخراج الجسيم الا أنه استظهر عليها وأرجعها الى طاعته * والحق ان هذه الأمة من أصل ايرانيّ وان لسانها مأخوذ من لسان (زندواستا) وهو اللسان الفارسي القديم وله مشابهة تامة بالفارسية المستعملة الآن * وان متأخري المؤرخين كفرنسيس لنورمان وغيره يؤيدون هذا الرأي



الفصل الثالث

في ابتداء سلطنتهم

وقيام زعيم منهم بأمر الملك

نشأت هذه الأمة على الجلادة والأقدام فكانت أمة حربية لاتدين لسلطة الأجنبي عليها حتى أنه فى زمن محمود الغزنوي وجنكيزخان التترى وتيمور الكوركان الذين تمت لهم السلطة عليها لم تكن تبعيتها لهم خالية من الخطر * وكذلك في عهد إنقسام ممالكها بين سلاطين الهند وفارس اذ كانت تتربص بملوكها الشر دائماً وتترقب الفرص لأيقاد نار الفتنة * وقد تطاولت أيدى طائفة (الغلجائى) على معسكر محمود الغزنوي ونهبوه وقد تسلطوا على مدينة (قزنة) زمنا ما وشكلت طائفة منهم

سلطنة في (دهلي) أيضاً * ولما استولى شاه عباس الكبير على بلدة « قندهار » دخلت طائفة الغلجائي و « العبدل » تحت طاعته * ثم لما جار عليهم الحاكم المتولي من طرفه وعاملهم بالظلم أرسلوا من طائفة العبدل رجلاً يسمي (سدو) ليرفع الشكاية من الحاكم لحضرة الشاه * فلما وصل وعرض الشكاية عليه تعجب الشاه من فصاحته ولاسترضائه عزل ذلك الحاكم وولاّه بدله فأقام فى منصبه بالعدالة وحسن السلوك حتي جلب قلوب الأفغانيين اليه بحيث رأوا انه من الواجب أن تكون حكومة الأفغان دائماً في ذرية هذا الشخص * وبلغ منهم حسن الأعتقاد فيه الى حدّ لو قتل أحدٌ من ذريته أحداً منهم لايقاصونه ولو سلّ أحدٌ سيفاً على أحد من نسله كان عقابه القتل * وقد تكوّن من نسله فصيلة تسمى (سدوزائى) ومنها احمد شاه على ماسنبينه . وفى زمن شاه سلطان حسين الذى هو آخر سلاطين الصفوية الأيرانية وقد جلس على كرسي الملك في سنة ١١٠٦

حصل العصيان من قبيلة (الغلجائى) القاطنة في مدينة (قندهار) وما يليها وكلما اجتهدت رجال دولة الشاه في قمعهم لم تزدد نيران الفتنة الا اشتعالاً * فلما أعيتهم الحيل في أمر العصاة أرسلوا اليهم (جرجين خان الكرجي) الذى كان حاكما من طرف الشاه على (كرجستان) وكان قد أظهر العصيان على الشاه الاّ ان دولة الشاه استظهرت عليه وقهرته * وبعد وقوعه في قبضتها لم يجد كفارة لذنوبه سوى خلعه الدين المسيحي ودخوله في الدين المحمدي * وكان معروفاً بحسن التدبير وقوة الحزم وثبات الجاش وجعلوه حاكما على قندهار

ولما ظن الشاه ان لسلاطين الهند التيموريين يداً في إيقاد الفتنة أرسل مع جرجين المذكور نحو عشرين الفاً من العساكر الأيرانية وجماعة من الأبطال وذوي الدراية والدربة من أهالي كرجستان احتياطاً لكف شر المداخلات الخارجية * فلما وصل هذا الخان بعساكره الى ضواحي قندهار خرج العصاة وأظهروا

الطاعة والأنقياد الاّ انه رأى من الواجب عليه اظهار القساوة ومعاملتهم بالخشونة ليذلل بذلك نفوسهم فلم ير من عزيزٍ الاّ وأذله ولا من قويّ الاّ وأضعفه ولا من أمير الاّ وأسره حتى ضاقت صدور القوم عن كتم ما أودعها هذا الوالي من الضجر والغضاضة * فبعثوا رسلا وسفراء الى أصفهان كرسي دولة الشاه ليعرضوا أحوال الأهالى على مسامعه وحين وصولهم الى أصفهان بذلوا مجهودهم لنيل ملاقاة الشاه لعرض شكواهم *وبعد أن أعيتهم الحيل لكثرة الحجاب والمناع (الذى هو اساس الظلم فى البلاد الشرقية حيث يوجب تطاول ايدي الولاة والمأمورين على حقوق الرعايا كما هو مشاهد الآن فى جميع أقطار الشرق)حظوا بملاقاته مرة واحدة وعرضوا عليه مظالمهم وكان بمعيته بعض احباء جرجين خان فألقى اليه ان شكوى هؤلاء العصاة شكوى الزور والبهتان يرومون التخلص من واليهم صاحب الضبط والربط ليعودوا الى مثل ما كانوا عليه * فلم يسمعوا من

السلطان سوى العتاب فرجعوا الى بلادهم محجوبين باخيبة وبثوا خبر الواقعة فى أقوامهم * وكان للوالي اطلاع على هذا الامر بواسطة رقبائه فأضمر السوء وأخذ يتحين الفرص للأيقاع بمن كان له مدخلية فى هذا التظلم خصوصاً (ميرويس) المشهور بجلالة النسب ومكانة الحسب الذى كان أميراً لقبيلة كبيرة ومحافظاً على بلدة قندهار ومعروفاً بين الناس بسعة الأخلاق وفصاحة اللسان ولين الجانب وجودة القريحة وكان ذا وقع فى النفوس وتمكن فى القلوب * فمدّ الوالي عليه يد التعدى بعد زمن وأرسله مسلسلاً الى مدينة أصفهان وكتب الى أولياء الدولة ان الراحة والطمأنينة لا تستقران فى البلاد الا بحبس هذا الرجل ومنعه من الرجوع الى قندهار لأنه مصدر الفساد ومنشأ الفتن * وقد اخطأ جرجين خان فى ارسال ميرويس الى أصفهان مع علمه بأن الأمراء الشرقيين توطنت نفوسهم على الأرتشاء وان بلوغ المقاصد ونيل المرام موقوفان على وجود الرشوة

وعدمهما على عدمها * فأنه بأرساله هذا قد مكنه من اعطاء الرشوة لأولياء الدولة لينال منهم مرامه * فلم تمض مدة من وصول ميرويس الي أصفهان حتى اطلع على هيئة الحكومة وضعف عقل الشاه ونفاق أركان الدولة وأولياء الأمور وتودد الي كثير من أعداء جرجين خان واستمال قلوبهم اليه حتى ساعدته الفرصة على مقابلة الشاه فبث اليه تفاصيل ما عنده من المطالب وتمكن بحذقه وعذوبة منطقه من استمالة قلب الشاه اليه وتوسل بالرشوة الي جذب قلوب الأمراء والكبراء ولم يلبث ان انتظم فى سلك اولياء الأمور فى دولة الشاه

وكان يمكنه اذ ذاك الرجوع الي قندهار الا انه بعد اطلاعه على ضعف دولة ايران واختلال أمورها تمكن من نفسه فكرٌ أعلى من هذا وهو أنه يمكن أن يخلص بلاد الأفغان تمامها ويفصل حكومتها عن حكومة الشاه * وعلم أن مثل هذا الأمر العظيم لا يصح الاستعجال فيه فطلب من الشاه أن يرخص له فى السفر للحج * فلما وصل الى

مكة المكرمة رأى من المناسب أن يأخذ بعض الفتاوى من علماء أهل السنة بوجوب محاربة الشيعة ليدعو بذلك قومه الى حرب دولة الشاه التي هي دولة شيعية ويجمع كلمتهم على ذلك * فتحصل على بعض فتاوي بذلك وبعد قضاء فريضة الحج رجع الى أصفهان مخفيا أمره مظهراً للشاه غاية الأخلاص

ومن غرائب الأتفاق أن وقع فى ذلك الوقت واقعة كانت من أحسن الوسائل لتنفيذ مقاصده * وهي ان رجلاً مجهول النسب من الأرامنة عالماً ببعض الألسن الشرقية تقدمت له خدمات للدولة الروسية فى الممالك العثمانية فتوسل الى أمبراطور الروس (بطرس الأكبر) فى أن يجعله سفيراً لدى الشاه * فلحسن خدمته اقترن طلبه بالقبول فبعثه الأمبراطور الي ايران سفيراً وزاد فى مكافأته ان أعفى جميع الأموال التجارية المتعلقة بهذا الرجل من رسوم الجمرك * فجمع هذا السفير كثيراً من تجار الأرمن وتوجه بهم الي بلاد ايران ولما قرب من

حدودها شهر نفسه بأنه من أولاد سلاطين الأرمن فاتخذ ميرويس دخول هذا السفير بهذه الكيفية أحسن وسيلة لنيل مقاصده وذلك انه أخذ يتكلم فى المجامع والمحافل سراً وعلانيةً بأن النصارى يريدون أن ينزعوا كرجستان وأرمنستان من أيدي دولة الشاه ولا بد أن يكون جرجين خان حاكم قندهار هو الواسطة الفعالة في ذلك* ولقرب عهد جرجين خان بالاسلام أخذ هذا الكلام من النفوس موقعاً وغلب على ظن أولياء الدولة صدقه فراموا قهر جرجين خان * الا أنه لقوة عضده وتمكنه في قندهار تخوفوا من عصيانه عليهم فأرجعوا ميرويس الى بلاده حتى اذا تحرك جرجين خان للعصيان قاومه للعداوة السابقة بينهما (انظر الى ضعف الرأي واضطراب فكر الشرقيين الى يومنا هذا)

ولما رجع ميرويس الى قندهار اشتد غضب جرجين خان وأراد أن يتخذ وسيلة لهلاكه فأرسل اليه يتحكم عليه فى أن يبعث بأبنته الى ابنه * واذ رأى

ميرويس ان هذا الطلب على وجه قهريّ وان اذعانه له يحط من قدره جمع الأفغانيين وحدثهم القصة فاغتاظوا لذلك وحثوه على المقاومة والمدافعة عن شرفه فامتلأ لذلك سروراً لكنه أمرهم بالصبر والتأني وقال « الأولى أن نقتل الأسد في النوم الا أنه يلزمكم الثبات على ماأنتم عليه واعتمدوا عليّ فاني سأنتقم من العدو » فاطمأنوا وحلفوا له بالخبز والملح والسيف والقرآن على معاضدته والقيام بطاعته وقالوا « ومن رجع عن ذلك فزوجته طالق بالثلاث »

وكان من خادمات ميرويس المتربيات في بيته بنتٌ جميلة أرسلها الى جرجين خان ليتزوجها ابنه باسم انها بنته وأظهر غاية السرور والبشاشة وأنه غير حاقد على جرجين خان * فمحا بذلك مافي قلب جرجين وأزال أحقاده حتي حصل عنده كمال الأعتماد عليه * وبعد زمن هيأ ميرويس مأدبة فاخرة بحديقة خارج البلد دعا اليها جرجين خان وأتباعه وكان شراب الجميع بتلك المأدبة كأس الموت

وساقيه ميرويس (هكذا لا يليق بالأمراء والسلاطين اذا غدروا بشخص أوظلموه أو أضاعوا حقه أن يصافوه ويعتمدوا عليه خصوصاً فى مهمات امورهم فان الحقد والعداوة اذا قرعت قلباً قلّ ما زايلته) * ولبس ميرويس لباس جرجين خان وتبعته من الأفغان ألبسة تبعته ودخلوا البلد بعد المغرب وهجموا على مستحفظي القلعة على حين غفلة ولحق بهم جماعة من الأفغانيين كان قد أعدهم كميناً قرب المدينة وانضم اليه أيضاً سائر الأفغانيين الساكنين فيها فاستأصلوا جميع المحافظين الاّ من فرّ واستولوا على القلعة ونادوا «من لم يأوِ جندياً من جند جرجين فهو في أمان» * وكان هناك ستماية جنديّ أرسلهم جرجين لتأديب بعض القبائل في بعض نواحي الولاية فقدموا الى قندهار بالغنائم الوافرة بعد تلك الواقعة فقوبلوا بالمدافع والبنادق وشجعان الأفغانيين فاطلعوا على حقيقة الأمر وقاوموا مهاجميهم * فخرج اليهم ميرويس بخمسة آلاف وثبتت أقدامهم أمام

عساكرد ثلاثة أيام أظهروا فيها من الجلادة والبسالة ما استوجب الثناء عليهم ثم انهزموا الاَّ أنهم خلصوا أنفسهم ونجوا الى أرض خراسان فأخبروا بالواقعة فازدادت بذلك دهشة الأيرانيين من الأفغانيين

ولما خلا جوّ قندهار من المعارضين بعث ميرويس الى رؤساء القبائل الأفغانية فحضروا ثم قام فيهم خطيباً يبين فضائل الحرّية ومزاياها وشدائد العبودية وبلاياها ثم قال « إن وازرتموني واتفقتم معي فسنخلص أعناقنا من غلّ الذلّ وننشر أعلام العز والحرّية ونتملص من سلطة الأيرانيين الشيعيين » ثم أبرز ماعنده من الفتاوي الحاكمة بقتال الشيعة التي سبق أخذها من علماء مكة وأذن فيهم قائلاً « إلاَّ من رجح جانب الأيرانيين واختار أن يكون في ربقة عبوديتهم فليقطع الأمل من أن يساكننا في ديارنا اذ لا تمكن له معاشرتنا ويستحيل أن ينال مودّتنا ومصافاتنا » فوافقه جميع الأمراء وأكدوا الموافقة بالايمان (هكذا هكذا أولو الفضيلة

والحزم يفدون بأرواحهم ويخاطرون بأنفسهم لتحرير أمتهم وتخليصها من ربقة الأسر والذلّ ولا يطلبون لذلك جزاءً سوى تخليد الذكر الجميل بخلاف أرباب النفوس الدنيئة والهمم المنحطة المنهمكين فى الشهوات فانهم يبيعون أممهم وأوطانهم للأجانب بأبخس الأثمان)

ولما بلغ خبر إتفاق الأفغانيين كرسي دولة الشاه فعوضاً عن أن يرسل عسكراً جرّاراً لتأديب العصاة وتقرير السلم أرسل (محمد جامي خان) لتهديد ميرويس ومَن اتفق معه * فلما وصل هذا السفير الى قندهار أخذ يبين عظمة دولة إيران وقوتها وقدرتها التامة على تذليل مَن ناوأها وينذر ميرويس بسوء عاقبة عمله هذا * فأجابه ميرويس قائلاً « هل تظن أنه لا يوجد العقل الّا فى رؤوس المترفين وأرباب النعم ولا يوجد فى أهالي جبال أفغانستان ولو ان فى إمكان سلطانك قهري وغلبتي ما كان له من حاجة لأرسالك لتتكلم بهذه الكلمات التي لا طائل تحتها » ثم أمر بحبسه * ومع ذلك لم تتنبه دولة

الشاه من نوم الغفلة حيث بعث بسفير آخر يسمى (محمد خان) حاكم هرات بعد مابلغها حبس السفير الأول وقد كان السفير الثاني من أحباء ميرويس ومصاحبه فى سفر الحج * ولما وصل الى قندهار قال له ميرويس «لولا سابق المحبة والصحبة لعاقبتك عقاب المذنبين ولكن لا بدّ أن تعلم ان الرجال الأفغانيين لايعودون الى تحمل نير العبودية بعد ماتخلصوا منه وان الأسود التى قطعت السلاسل لاتقيد بها وان السيوف المسلولة لاتغمد وان ملككم سينكب ويغلب ودولتكم ستنهب وتسلب» ثم أمر بقيده

ولما رأى أولياء الدولة أن لافائدة فى إرسال الرسل ولا مفرّ من المحاربة وجّهوا الأوامر لحكام خراسان أن يجيّشوا جيوشهم ويهجموا على الأفغانيين * وبعد إنهزامات متتالية للعساكر الأيرانيين تحقق لديهم أن عساكر خراسان وحدها لاتكفى لقمع الأفغانيين * فأعدّوا جيشاً كبيراً وجعلوا قيادته بيد (خسرو خان) ابن

أخ جرجين خان الذى لم يكن فى الجلادة والرشد أقل من عمه * وانما فوّضوا قيادته اليه ليكون حب الانتقام لعمه موجباً لزيادة إقدامه وتحمسه (هكذا لا تفيد المماطلة والاهمال سوى الوقوع فى الشقاء وعسر التخلص منه) * فتقابل خسروخان مع ميرويس واشتعلت نيران الحرب بينهما فانهزم ميرويس وحاصر خسروخان مدينة قندهار فطلب محافظوها الأفغانيون من خسروخان أن يسلموا له المدينة على شرط أن يأمنهم على حياتهم فلم يرض بهذا الشرط * فلما علموا أن لا مفرّ من الموت أخذوا أهبة الدفاع وكانوا كل يوم يهاجمون محاصريهم وميرويس بعد جمع عساكره المتفرقة شرع فى الهجوم عليهم من الخارج حتى نفدت ذخائر خسروخان فاضطر لترك المحاصرة والاشتغال بمدافعة ميرويس الى أن قتل ولم ينجُ من عساكره الأيرانية التى كان مقدارها خمسة وعشرين ألفاً سوى خمسمائة شخص (تلك عاقبة العجب والغرور)

ثم أرسل الشاه جيشاً آخر يقوده (محمد رستم خان) فانهزم أيضاً وتمت السلطة لميرويس على ولاية قندهار بلا مزاحم ولا مخاصم * ثم توفي ميرويس عن ولدين لا يزيد سن أكبرهما عن ثماني عشرة سنة ولهذا اختار الأفغانيون أن يخلفه في الحكومة أخوه (مير عبد الله) وكان لهذا الخليفة ميلٌ للصلح مع سلطنة إيران الا أن آراء الأفغانيين كانت لا تساعده على هذا الميل بل عارضوه وقالوا « إن لم تستطع أن تحذو حذو أخيك في المهاجمة فلا أقل من أن تمهل في أمر المصالحة » ومع ذلك لم يسمع مقالتهم بل تشاور مع بعض أصحابه واستقر الرأي بينهم على أن يرسلوا معتمدين الى دولة الشاه لعقد المصالحة بشروط ثلاثة * الأول أن تعفى ولاية قندهار من الخراج السلطاني * الثاني أن لا يكون للدولة عساكر في تلك الولاية * الثالث أن تكون الأمارة وراثة في ذرية مير عبد الله المذكور

فلما أطلع على ذلك الأمراء من الأفغانيين اشتد

غيظهم منه ونحرفت قلوبهم عنه وحمد أكبر ولدي ميرويس المسمى (محمود) الذي كان يظهر من ناصيته علائم النجابة والشهامة على عمه حيث تمدّى على حقه * فاتفق مع أربعين شخصاً من الأفغانيين ودخل بيت عمه على حين غفلة وذبحه وباطلاع الأفغانيين على ذلك أقاموه حاكماً على أنفسهم ولقبوه بشاه قندهار

وفي تلك الأوقات بعينها قام (ازادخان العبدالي) من الأفغانيين واستولى على مدينة هرات ورفع لواء الأستقلال واتفق مع بعض طوائف الأزبك على نهب بلاد خراسان الداخلة تحت حكومة إيران * فبعثت حكومة الشاه بثلاثين الفاً من العساكر تحت امرة (صفي قلي خان) لتأديب ازادخان فاستقبلهم بجيوشه واقتتلوا من أول النهار الى زوال الشمس ولم يتبين الغالب من المغلوب * ولهول الواقعة اختلط الأمر على طبجية الأيرانيين فلم يميزوا بين جيوش الأفغان وجيوشهم فأخذوا يطلقون المدافع على عساكرهم الخيالة

فظنت جيوش إيران أن هذه خدعة حربية إذ كانوا يعلمون أن الأفغانيين لا توجد عندهم المدافع فانفصلت العساكر بعضهم عن بعض * فاتخذ الأفغانيون ذلك فرصة للهجوم فهجموا وشتتوا شمل العساكر الأيرانية وبددوها وقتل صفي قلي خان مع ابنه وثمانية آلاف من العساكر الأيرانية وتركوا جميع الأثاثات والأدوات العسكرية وعشرين مدفعاً وتمت بذلك السلطة لأزادخان فى ولاية هرات واستقرت بها الحكومة البدالية كما استقرت الحكومة الغلجائية فى مدينة قندهار

وفى أثناء هذه الفتن هجم الأكراد السنيون للنهب والغارة على بلاد إيران وتوغلوا فيها حتى وصلوا الي جدران أصفهان كرسي المملكة * وثارت أعراب مسقط واستولت على جزائر خليج فارس وعلى الفرض الواقعة بساحل ذلك الخليج * فلما رأى محمود شاه قندهار إختلال أحوال السلطنة الأيرانية وضعف عقول أمرائها وتفرق كلمتهم وتمكن النفاق من قلوبهم (كما هو الواقع الآن

فى أمراء الشرق) طمع فى سلطنـة الشاه وساق عساكره لحربه من طريق (كرمان) مع عدم وجود المياه والكلاء بذلك الطريق * فلما وصل الى كرمان ولم يكن أهلها على إستعدادٍ حيث هاجمهم على غفلةٍ منهم سلموا له المدينة بدون حربٍ ولا منازعة وحصل من عساكره ان أطالوا يد الظلم على الأهالي كما هو عادة المتغلبين من الأمم الشرقية بل الغربية * ثم صدر الأمر من شاه إيران الى (لطف علي خان) الذي كان والياً فى بندر عباس بمحاربة الأفغانيين وطردهم * فتوجه اليهم ونازلهم فلم تكن الا واقعة واحدة طرد فيها الأفغانيين من كرمان بحيث لم يستطيعوا الوقوف فى نقطة من النقط حتى رجعوا الى قندهار * الا أن أهالي كرمان صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار حيث نالهم من يد عساكر الشاه ما أوقع الأشتباه عندهم « هل مصائب تغلب الأفغانيين أشدّ وأفظع أو مصائب مساعدة دولتهم » ولما علم لطف علي خان أن مير محمود سيعود كرة ثانية

شرع فى حشد العساكر وجمع الذخائر وأخذ أهبة الأحتياط فى (شيراز) * ولدواع اقتضاها الحال إما لعدم الأنتظام أو حكم الزمان قد نشأ عن هذا وقوع الظلم بالرعية إذ كانوا يصادرونهم فى أموالهم ويسخرون دوابهم فى الأعمال اللازمة وغير ذلك * فاتخذ أعداء لطف علي خان هذا الأختلال وسيلة للسعي فى عزله فسعوا لدى الشاه فعزله عن رئاسة العساكر فتفرقوا وذهبوا من حيث جاؤا (انظر الى الأدنياء الأخساء خائني الوطن والأمة كيف أنهم لبعض أغراض شخصية وعداوات جزئية وللتشفى من شخص واحد قد تسببوا فى تفريق العساكر التى كانت وقاية للأمة وحفاظاً للوطن وترتب على تفريقهم ماترتب كما سنبينه)

وفى تلك الأوقات قد أغار العبدالية من الأفغانيين على غالب بلاد خراسان حتى كادوا يفتحون مدينة (مشهد) وهي طوس القديمة * وفى أثناء هذه الفتن والقلاقل وقعت زلزلة شديدة فى مدينة (تبريز) وأصبح

ثمانون الفاً من الناس تحت التراب وحصل في الجو تكاثف حتى حجب ضياء الشمس فكانت لا ترى إلا كنقطة من نحاس أحمر * فوقع في أوهام العامة أن هذه آثار الغضب الآلهي ومقدمات نزول البلاء السماوي وأخذوا يتحيلون لدفع القضاء بطرد الفاجرات وإزالة كثير من المنكرات * والمشايخ كانوا يطوفون في الأزقة ويدعون الناس للأستغفار * والمنجمون قد حكموا حكماً باتاً ان هذا علامة لخراب أصفهان * فوقعت العقول في وحشة والنفوس في حيرة وضعفت القلوب وتدانت الهمم حتى كانت هذه الأمة الكبيرة واقفة على قدم الأستعداد للموت وانقطعت آمالها من الحياة والنجاة * (تفطن وانظر الى مضار الأعتقادات الخرافية وما ينشأ عنها من ضعف النفس وسقوط الهمة وارتباط الأيدي عن العمل)

وفي سنة ١١٣٥ من الهجرة عاد مير محمود كرة ثانية من طريق سجستان الى كرمان مع خمسة وعشرين ألفاً من عساكر الأفغان والبلوج واستولى على كرمان

بدون تعب الا القلعة التي هي مقر الحكومة فانه لم يتمكن من أخذها وتركها لمحافظيها على أن يأخذ منهم ألفين وخمساية توماز (كل تومان يساوي نصف جنيه انكليزى) * وقد أيقن الأهالي وتجسم في مخيلتهم أن محموداً هذا هو غضب الله النازل على دولة إيران الموجب لخراب أصفهان كما أخبر به العلماء والمنجمون * ثم عطف محمود عنانه الى مدينة (يزد) يريد افتتاحها فلم يقدر فتركها وتوجه على خط مستقيم الى مدينة أصفهان كرسي مملكة الشاه * فلما صار على مقربة من أصفهان أرسل اليه الشاه رسولين يرجوانه فى كف يد الأغارة والعود الى بلاده فى نظير أن يعطيه خمسة عشر ألف تومان * فكانت هذه الرسالة دليلا عند محمود على استيلاء الضعف على الأيرانيين وتمكن الرعب من قلوبهم فلم يعبأ بهما وذهب الى (كلتاد) «قرية على فرسخين من أصفهان» وعسكر عندها وحفر حول عساكره خندقاً لعلمه بأن ستقع هناك محاربة بينه وبين عساكر الشاه * والتحق بعساكر محمود كثير

من المجوس الذين على دين (زرتشت) رجاء ان تسلط محمود يكون سبباً لتخليصهم من جور الشيعة ✻ ولتسلط الوهم على الشاه جمع الأمراء والوزراء يشاورهم فى الأمر فقال محمد قلي خان الذى كان وزيرا « ان الأفغانيين وإن كان لهم جلادة وثبات في الميدان الا أن ليس لهم قدرة على فتح القلاع فالرأي أن نجعل عساكرنا فى قلاع أصفهان وندافع عنها فاذا عجزوا عن فتحها تركوها ورجعوا الى بلادهم كما فعلوا فى كرمان ويزد » واستحسن الشاه هذا الرأي ✻ فقام والي عربستان (خان أهواز) وتكلم بالحمية والحماسة قائلا « هـذه غاية الجبن والضعف كيف نرضى أن محموداً يحاصر مدينة أصفهان بشرذمة قليلة من الأفغانيين وهي كرسي دولة شاه إيران فالرأي أن نبرز اليهم ونحاربهم حيث هم معسكرون » فتحرك عرق حمية الشاه وبعث بخمسين ألفاً مع عشرين مدفعاً لملاقاة محمود ✻ ولما تلاقى الجمعان عند قرية كلناباد رتب كل ميمنته وميسرته وقلبه وركب محمود على فيل وأخذ

يدور حول عساكره ويجول فيما بينهم ويذكرهم بالفخر والمجد اللذين اكتسبوهما فى الحروب السابقة ويقول « إن غلبتم عدوكم فمدينة أصفهان جزاء اتعابكم وإن انهزمتم فلا مفرّ من الموت لبعد الشقة بينكم وبين بلادكم فتتجرعون سمّ الأجل بالذلّ والفضيحة » * (وكان بين معسكرهم ومدينة قندهار خمسون مرحلة مع انقطاع المواصلات بينهم وبين هذه المدينة وقتئذ)

ولم يكن عند الأفغانيين مدافع ولكن كان معهم مائة زنبورك (وهو شئ يشبه المدفع يحمل على الجمل ويطلق وهو فوقه) فأناخ الأفغانيون جمال الزنبورك وراء معسكرهم ثم ابتدأ الأيرانيون بالقتال فهجمت ميسرتهم على ميسرة الأفغانيين فتقهقر الأفغانيون منكسرين فغنمت منهم بعض المغانم * ثم هجمت ميمنة الأيرانيين على ميمنة الأفغانيين فتقهقرت الأفغانيين خدعة حربية فأغارت خيالة الأيران على عسكرهم * فلما دخلت الخيالة فى المعسكر انشق عسكر الأفغان الى

فرقتين وأطلق الزنبورك على الخيالة فتساقطوا تساقط ورق الشجر في فصل الخريف * وهجم وقتئذ (أمان الله خان) الأفغاني على مؤخرة العساكر الايرانيين فقتل الطبجية وأخذ المدافع وأمر باطلاقها على عساكر الشاه * فلم يمض الا قليل زمن حتى انهزموا وتفرقوا وتركوا جميع لوازمهم غنيمة للأفغانيين * فلما وصل خبر الهزيمة الى أصفهان اهتزت له القلوب واضطرب الشاه وجمع وزرائه للاستشارة وقال « ان من الرأي أن نترك أصفهان ونأخذ الخزينة معنا ونشتغل بجمع العساكر الشاهانية ثم نهاجم الأفغانيين من خلفهم ونستأصلهم » * فقبل هذا الرأي عند محمد قلي خان الوزير ولم يقبله والي عربستان المذكور لامرسنشير اليه وقال « لا يليق بالسلطان أن يترك كرسي مملكته لهزيمة واحدة فان هذا آية الضعف وموجب لنفرة قلوب الأهالي منه » * فأخذوا في تهيئة لوازم الدفاع والاستعداد للمحاصرة وكان محمود وقتئذ متردداً في أمره حتى جاءه بواسطة جواسيسه (أتباع والي

عربستان) خبر استيلاء الرعب على قلوب الايرانيين * فاطمأن وساق عسكره الى (فرح آباد) واستولى عليها بلا محاربة لعدم وجود العسكر فيها * وبعد استيلائه عليها توجه للهجوم على محلة (جلفا) مسكن الأرامنة فى أصفهان فاستولى عليها أيضاً ونشأ عن استيلائه خسارة جسيمة لساكنيها.

ثم هجم على برج من أبراج مدينة أصفهان فدفع عنه بقوة البنادق والمدافع فتقهقر ووقع فى نفسه ان هذا التقهقر ربما يوجب زوال الرعب من قلوب أهالي المدينة فيصعب الأمر فى فتحها * فهجم فى اليوم الثاني مع الأبطال الأفغانيين على بعض الأستحكامات وأظهروا جلادة وشدة حتى كادت المدينة تفتح لولا مقاومة أحمد أغا أحد أغاوات الحريم * فانه قاوم ببسالة وجبر الأفغانيين على التقهقر فوقع الرعب فى قلب محمود وأرسل يطلب المصالحة على شرط أن تكون حكومة قندهار وكرمان وخراسان وراثة فى ذريته وأن يزوجه السلطان بأبنته ويعطيه خمسين ألف تومان ولكن لم

تقبل هذه المطالب عند الشاه

ولما سمع والي عربستان بذلك أرسل سراً الى محمود رسولا يلومه على طلب المصالحة ويوصيه بالثبات ويعده بالظفر وقال فى رسالته « انى منكم مذهباً فاثبتوا ولا تخافوا » * ولما أحاط محمود علماً بفحوى الرسالة انتعش مرة ثانية ودبر تدابير أخرى وهو أن يخرب القرى والقصبات التي هي حول أصفهان ويجمع الذخائر منها العساكره ويحرق ما بقى وقد فعل * ففرّ أهالي القرى الى المدينة لعدم وجود الأقوات عندهم وكان الأمراء لجهلهم بحقيقة الحال يقبلونهم بكل مسرة لظنهم انهم يزيدون فى عدد المدافعين ولم يخافوا من حصول القحط فى المدينة لانها لم تكن محصورة الا من جهة واحدة * ثم هجم الأفغانيون من الجهة الأخرى واستولوا على أحد الاستحكامات فيها وكان محافظو هذا الاستحكام من الكرج المنهمكين فى شرب الخمر * ثم تجاوز الأفغانيون من قنطرة كانت هناك واستولوا على بعض

نواحي المدينة وفى ذلك الوقت سمع الأفغانيون بقدوم قوم إيرانيين ببعض ذخائر الى المدينة فعارضوهم وانتهبوها منهم * وقبل أن يصلوا الى معسكرهم خرج اليهم قوم من قرية صغيرة يقال لها (اصفهانك) واسترجعوها منهم وأسروا عم محمود وأخاه وابن عمه وقتلوهم وكان الشاه أمر بعدم قتلهم لطلب محمود ذلك منه الا أن أمره لم يصل الا بعد القتل * فقتل محمود جميع من عنده من الأسراء الإيرانيين عند ماسمع بذلك وأخذ يتشبث بإتمام لوازم الحصار وقطع طرق المواصلات * وفى تلك الحالة ألح بعض أولياء الدولة على الشاه أن يسلم اليه قيادة المدافعين وتكفل بدفع الأفغانيين وطردهم من ضواحي أصفهان الا أن والي عربستان (خان أهواز) منع الشاه من هذا بتمويهات وتدليسات ألقاها اليه

ولما طالت مدة المحاصرة أخذت الأسعار ترتفع شيئاً فشيئاً وظهرت علائم القحط فى المدينة ولم يجد الشاه وسيلة سوى أن أرسل ولده (شاه طهماسب) ولي

العهد سراً الى سائر البلاد الأيرانية ليدعو الناس الى حرب الأفغانيين وتخليص كرسي المملكة من أيديهم فلم يتمكن من جمع كلمة الأهالي على القيام بتخليص أبيه * وكان كل يوم يشتدّ الكرب على أهل المدينة ويذهبون الى الشاه ويلحون عليه فى أن يخرج معهم للمحاربة كي يخلصوا أنفسهم من غائلة الجوع والقحط خصوصاً حين ما سمعوا انه سيرد اليهم ذخيرة فانهم اجتمعوا حول السراي السلطاني ونادوا على الشاه بالخروج الى الحرب خوفاً من أن تقع هذه الذخيرة فى أيدي الأفغانيين ويموت أهل البلد جوعاً * فأرسل اليهم الشاه يعدهم بالجواب فى غدٍ فلم ينصرفوا وأدمنوا على الطلب حتى أطلق عليهم بعض مستخدمي الحرم البنادق ليرهبهم * فانزجرت نفوس الأهالي من هذا العمل وتكدّرت خواطرهم وكادوا أن يهجموا على السراي لولا خروج أحمد أغا السابق الذكر اليهم وارضائه لهم * وبعد انصرافهم جمع جماعة من ابطال العساكر وهجم بهم على الأفغانيين واشتدّت حملته عليهم

حتى استخلص بعض الأستحكامات من أيديهم الاّ أن عساكر العرب الذين كانوا تحت امرة والي عربستان (خان أهواز) تقهقروا تعمداً فغضب أحمد أغا لذلك وأمر بأطلاق البنادق على الفرقة العربية من عساكره*

فلما وقع النزاع بين العساكر واشتغل بعضهم ببعض هجم الأفغانيون وهزموهم فذهب أحمد أغا الى الشاه وقال له « ان خان أهواز هو الذى أوجب إنهزامنا فى جميع المواقع لأتحاده مع محمود فى المذهب ولولا وجوده فى معسكرنا لدفعنا الأفغانيين وهزمناهم من أول وقعة »* ولكن خان أهواز أتى الى الشاه مازيّن له عزل أحمد أغا عن رئاسة المحافظين للقلعة فعزله فتناول السمومات* وبموت أحمد أغا فرح الأفغانيون جداً ووقع الأضطراب والوجل فى أهالي أصفهان فاضطر الشاه لأن يرسل رسولاً الى محمود يطلب منه المصالحة على الشروط السابقة فأجاب محمود « بأن الشاه لا يملك الآن شيئاً حتى يعطيني إياه بل جميع ما فى قبضته قد أصبح تحت يدي »

وفى أثناء هذه الواقعة تحرّك الملك محمود حاكم سجستان بعشرة آلاف جندي لتخليص أصفهان ولما بلغ هذا الخبر أهالي أصفهان قويت قلوبهم وتعلقوا بحبل الرجاء * وعند شعور مير محمود الأفغاني بذلك أرسل اليه « ان ارجع عن عزيمتك هذه ولك بلاد خراسان وسجستان تحكمها أنت وذريتك على سبيل الاستقلال » * فصارت هذه الرشوة عمى فى بصر مرؤته فعاد للاستيلاء على الممالك التى وعده بها محمود وانقطع الرجاء بعد ذلك من مدينة أصفهان وسدت طرق النجاة على أهلها وازداد الغلاء شيئاً فشيئاً حتى وقع القحط وأخذ الناس فى أكل الحيوانات غير مأكولة اللحم كالبغال والحمير ثم القطط والكلاب ثم الموتى من الآدميين * ثم كان الناس يموتون فى الطرق والأزقة من الجوع وامتلأ نهر (زاينده رود) من جثث الموتى حتى تغيرت مياهه ولم يكن يستطيع أحد أن يشرب منه * فلما بلغ الحال الى هذا الحدّ وذلك فى حادي وعشرين اكتوبر سنة ١٧٢٢ عيسوية المقارنة

لسنة ١١٥٣ هجرية خرج شاه سلطان حسين من الحرم لابساً لباس الحداد مع جميع أمرائه وأخذ يدور فى أزقة أصفهان وهو يبكي من المصائب التى نزلت فى أيام دولته على العباد والبلاد ويقول « ان كل ذلك من خيانة الناصحين وعدم ديانة المشيرين » ويبين للناس أنه يريد أن يتنازل عن الملك والتاج للأفغانيين * ولما شاهد الناس منه ذلك نسوا مصائبهم ومصائبه وأجروا سيل الدموع من أعينهم (هذا جزاء الغفلة وعدم التيقظ والانهماك فى الشهوات وإستخدام المخالفين فى الجنس والمقاصد فى المصالح المهمة خصوصاً فى زمن الحرب)* وفى اليوم الثاني رقموا قرار التسليم وختم عليه جميع الأمراء والكبراء

وفى الثالث والعشرين من الشهر المذكور خرج شاه سلطان حسين مع جميع العظماء وثلاثمائة من خيالة إيران وذهبوا الى محمود فى فرح آباد فلما دخلوا عليه فى قصرها لم يتحرك من مجلسه الى أن وصلوا وسط الديوان* ثم ان الشاه خلع ريشة الملك عن رأسه وقال لمحمود « يا ابني

ان الله تعالى لم يرد أن أكون على كرسي إيران أزيد مما كنته وأنت الآن أحق به » فأجابه محمود « إن الله يعطى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء » فغرز الريشة فى عمامته ثم تصافيا وزوجه الشاه ببنته فى ذلك المجلس * وفى اليوم الثاني دخل محمود مدينة أصفهان وأجرى السلام العام فقابله الشاه وجميع الأمراء وسلموا عليه بالسلطنة * ولما استولى محمود على كرسي أصفهان اجتهد فى تخليص الناس من جهد البلاء والقحط الذي حاق بهم وفى جبر الخواطر المنكسرة فمال الناس اليه وأبقى كل ذي منصب على منصبه الاّ أنه جعل مع كل واحد رجلاً أفغانياً ليتمرن الأفغانيون على الأعمال الدولية ويحصل له الاطمئنان والثقة بالأعمال * وعاقب بالقتل كل من خان الشاه ودلّس عليه فى الحرب الاّ والي عربستان (خان أهواز) فانه سلبه جميع أمواله وفضحه شنع فضيحة ولم يقتله كأنه عاهده على ابقاء روحه

ثم أرسل أمان الله خان بستة آلاف جندى لفتح مدينة قزوين فسار اليها وفى أثناء الطريق فتح مدينة

(قاشان) و (قم) ودخل بعد ذلك مدينة قزوين بلا معارض ولا ممانع الا أن أهل قزوين كانوا اؤلى بأس وقوة ونفوس تأبى الضيم خصوصاً من مخالفيهم فى المذهب * فلما رأوا بعض تعدّ من الأفغانيين تجمعوا وهجموا على الأفغانيين من الأطراف وعند وصولهم الى أمام القلعة التى بها الحاكم خرج أمان الله خان لتسكين الثورة فجرح وانتهى الأمر بغلبة الأهالي وطرد الأفغانيين بعد قتل الف شخص منهم وذلك فى سنة ١١٣٦ * وفى أثناء سير الأفغانيين المنهزمين انفصل أشرف بن عم محمود عن أمان الله خان بثلاث مئة أفغاني وأخذ طريق قندهار * وبعد واقعة قزوين قام أهالي خنسار وسائر البلدان وعملوا بالأفغانيين مثل ماعمل أهل قزوين واجتمع جميع الأفغانيين فى أصفهان * ولما رأى مير محمود ذلك غلب عليه الجبن والخوف وتوهم ان أهالي أصفهان ربما يفعلون معه مثل مافعل غيرهم بقومه فتحيل لقتل جميع المستخدمين فى الحكومة من الأمراء وبقايا العساكر المحافظين للقلاع

والعساكر الذين بمعية شاه سلطان حسين وطرد جميع الرجال من المدينة حتى صارت مدينة أصفهان خراباً يباباً ولما رأى ان سلطنته لا يصح قصرها على البنيان جاب اليها بعضاً من الأكراد السنيين كانوا مقيمين فى (درجزين) * ولما اجتمع الأكراد وجاءه إمدادٌ من جهة قندهار وجه بعض العساكر لفتح (جلبايكان) و (خنسار) و (قاشان) ففتحوها وأرسل نصر الله المجوسيّ الذي لحق به فى كرمان لفتح مدينة شيراز وسائر المدن الواقعة على سواحل خليج فارس ففتح جميع تلك البلاد الاّ شيراز فانه جرح فى محاصرتها ومات بذلك الجرح فأحيلت قيادة العساكر على (زبردست خان) الأفغاني * وبعد محاصرةٍ مات الناس فيها من الجوع فتح البلد عنوة ودخلها وأمر بقتل جميع من كان محتكراً الأقوات فى المدينة حتى أنه أتى ببعض المحتكرين وعلقه فى مخزن برد الى أن مات جوعاً * ولما فتحت شيراز تجدّد لمحمود عزمٌ ونشأت فيه قوة فجمع ثلاثين الفاً وتوجه بها الى جانب (كوه كيلويه)

الواقعة على نحو ثلاث درجات في جنوب أصفهان فتعرّضت له القبائل الحالة بطريقه الى تلك البلاد وأخذوا ينهبون عساكره ويفتكون * واتفق ان وقع الموت في جيوشه لأختلاف الهواء ورداءة المناخ فانفعلت لذلك نفسه ورجع الى أصفهان خائباً ودخلها ليلاً * وكذلك وقعت له هزيمة عظمى في مدينة (كز) قتل فيها من عساكره جمعٌ كثيرٌ فتسبب عن هذه الحوادث نفور قلوب الأفغانيين منه فأجبروه على إرجاع أشرف من قندهار وجعله وليّ العهد * ثم غلب الوسواس على مير محمود فطلب العزلة والأشتغال بالرياضة وتصفية الباطن والأستمداد من عالم الغيب (وهذه عادة الشرقيين عند وقوعهم في الأرتباكات لخطيئاتهم يعدلون عن الأسباب الظاهرة التي أعدّها الله لنيل الغايات الى الأستمداد من الأسرار الباطنية بترك اللحوم والأنزواء والأنعزال وهي عادة هندية وثنية فشت بين المسلمين في القرن الثاني عشر من الهجرة)

ولما رجع من عالم الغيب الظاهر وخرج من الخلوة الى الجلوة إزداد فيه الوسواس وسوء الظن حتى أنه لخبر لا أصل له أمر بقتل تسعة وثلاثون من أولاد السلاطين الصفوية وما زال به الوسواس حتى أورثه خبلاً وجنوناً * وقال (ملا على حزين) انه بلغ به الجنون الى درجة ان كان ينهش لحم نفسه بأسنانه * وفي أثناء جنونه سمع الأفغانيون بحركة شاه طهماسب وتهيئه للاغارة فاضطروا أن يجلسوا أشرف على كرسي السلطنة في حياة محمود فأبى قبول السلطنة مالم يقتلوا محموداً قصاصاً لأنه هو الذى قتل أباه مير عبد الله فقطعوا رأس محمود فى سنة ١١٣٨ من الهجرة وقدموها اليه فقبل السلطنة وأخذ بزمامها * وكان موت محمود عن سبع وعشرين سنة وكانت مدة سلطنته ثلاث سنين

ثم أن أشرف أخذ يستقبح أعمال محمود التي صدرت منه فى آخر عمره ويبث التشنيع عليها فى الملأ العام * ولتطييب نفوس الأهالي واستمالة قلوبهم أخذ تاج الملك

ووضعه على رجل شاه سلطان حسين وألحّ عليه فى لبسه * فلم يرض الشاه بذلك ورفع التاج بيده ووضعه على رأس أشرف وقال « اني اخترت العزلة على العزة » وزوجه بنته الثانية * ثم أراد أشرف أن يخدع شاه طهماسب فكاتبه يدعوه للملاقاة مبيناً له « أنه قد وقع الهرج فى بلاد إيران وتطاولت اليهايد الأعداء والأجنبيين فلنجتمع لنصلح ذات بيننا ونتعاضد على دفع العدو من البلاد » * وإذ علم بذلك بعض الأمراء الأيرانيين الذين كانوا فى خدمة أشرف كتبوا الى طهماسب محذّرين إياه من الأجتماع والأعتماد على قول أشرف * ولما استشعر أشرف بهذا أمر بقتل بقية الأمراء الأيرانيين الذين تخلصوا من سيف مير محمود متعللاً بأنهم يراسلون عدوّه * وقبل موت مير محمود بقليل كان سلطان العثمانيين قد عقد معاهدة مع أمبراطور الروسية (بطرس الاكبر) على تقسيم الممالك الأيرانية التي لم تدخل فى حوزة الأفغانيين وطرد الأفغانيين من البلاد التي حازوها وتسليمها ليد

طهماسب إن وافق على هذه المعاهدة * ولما أخذ أشرف بزمام السلطنة أرسل سفيراً الى قسطنطينية فتفاوض مع علمائها فى هذا الشأن وقال « لا يليق بالسلطان أن يعاهد ملكاً نصرانياً على إقتلاع ملك مسلم سنيّ » * فوافقته العلماء على ذلك الاّ أن الوزراء حاجّوا العلماء وحجوهم حيث قالوا « ان السلطان العثماني هو أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين وظلّ الله فى الأرضين ومن لم يكن له مطيعاً لأمره ولم يخطب باسمه ولم يعط الخراج فهو عدوّ للدين والجهاد فيه أفضل من الجهاد فى النصارى » * فسكت العلماء لهذا البرهان الناشيء عن هوى الأنفس ورجع السفير خائباً وصدر الأمر لأحمد باشا الذى كان متسلطا على (مراغه) و (قزوين) بسوق العساكر الى أصفهان * ولما سمع أشرف بذلك أمر بحرق القرى وجمع عساكره واستقبل العساكر العثمانية فتلاقى أولا مع ألفين من مقدمة جيوشهم على بعد خمسة عشر فرسخاً من أصفهان فقتلهم عن آخرهم فوقع الرّعب فى قلوب

الأتراك لهذا الخبر وأمر أحمد باشا بتوقيف العسكر وحفر الخنادق حولهم * أما أشرف فقد بعث بأناس سرّاً ليسعوا فى جمع قلوب الأكراد على ولائه وليذيعوا فى المعسكر العثماني ان هذه الحرب مضادة للدين الحنيفي وبعث بآخرين من العلماء جهراً الى أحمد باشا ليستميلوا فؤاده الى السلم ويبينوا له أن الصلح خيرٌ فلم يسمع مقالتهم بل أمر بسوق العساكر وكانت ستين ألفاً يصحبها سبعون مدفعاً ولم يكن مع أشرف سوى عشرين ألفاً يصحبها اربعون (زنبورك) * فلما تلاقى العسكران انهزم العثمانيون شر هزيمة بعد أن قتل منهم اثنا عشر ألفاً وتركوا جميع أسلابهم وأدواتهم وفرّ أحمد باشا الى (كرمان شاهان) وخوفاً من أن يتعقبه أشرف لم يقم فيها بل ذهب الى بغداد * فاتخذ أشرف من ذلك فرصةً لاستمالة أفئدة العثمانيين فكتب الى أحمد باشا «انني لا أحب التصرف فى أموال المسلمين فارسل أميناً من طرفك يستلم جميع ما تركتم سوى الآلات الحربية» * وأطلق أسراء العثمانيين

فأوجب ذلك إشتهاره عند العثمانيين بحسن السيرة فالتزموا أن يصالحوه على أن يعترفوا له بكونه شاه إيران وأن يعترف هو من سلطان قلبه بكون السلطان العثماني هو ظل الله في الأرضين

وأثر ذلك وقعت عدة مشاكل أحدها كون اخي محمود نزع الى الاستقلال في قندهار فتسبب عنه الشقاق في طائفة الغلجائي وانقطاع المدد عن الشاه أشرف * وثانيها كون الملك محمود السجستاني سمى نفسه شاهاً وتغلب على غالب ممالك خراسان * وثالثها كون نادر المعروف بالشجاعة والعزم والشهامة قد انضم الى شاه طهماسب وصار اميراً على عساكره في مدينة (استرآباد)* وفي خلال هذه المشاكل سار شاه أشرف لفتح مدينة (يزد) فوفق لفتحها وأرسل سفيراً بعد ذلك الى الدولة العثمانية فقابله رجالها بكل تبجيل وتعظيم * فعدّ ذلك شاه أشرف فاتحة الاقبال ولكن لم يطل زمن سروره حتى بلغه أن نادراً جيَّش جيشاً من طرف

طهماسب لاستخلاص مشهد وهرات من ايدى الأفغانيين العبدالية فكان من الأمر ان تم له ذلك واستخلصها واستفحل أمره فى تلك البلاد * فاضطرب لذلك شاه أشرف وأخذ يحشد العساكر فجمع ثلاثين الفاً وسار بهم الى بلاد خراسان وتلاقى مع عساكر نادر بقرب دامغان فهاجمها مرات متعددة إلا أن عساكره لم تقدر على مقاومة عساكر نادر فانهزم ورجع الى أصفهان وأمر بجمع الأفغانيين وعسكر فى شمال المدينة بقرب (مودجه خوار) وحفر خنادق وأقام إستحكامات * فتوجه اليه نادر وكان فى كل نقطة من سيره يزيد عساكره من الأيرانيين الى أن وصل الى معسكر أشرف فوجده فى غاية المناعة ومع ذلك أمر بالهجوم عليه وأظهر الأفغانيون غاية الجلادة والثبات * لكن لما كانت عساكر العدو أكثر عدداً وأوفر عدداً ظفرت بهم وقتل من أبطال الأفغان أربعة آلاف وتقهقروا الى أصفهان وعلموا علم اليقين ان لا مقام لهم بها فباتوا ليلتهم يتأهبون للرحيل

وقبل طلوع الشمس خرجوا من المدينة سالكين طريق شيراز * ويقال ان أشرف قبل خروجه من المدينة أرسل شاه سلطان حسين السيئ البخت الى وادي العدم * وبعد أشهر ساق نادر الجيش بأمر طهماسب الى شيراز فتلاقى هناك مع الأفغانيين المنكسري الخاطر المجتمعين حول اصطخر وبعد محاربة هينة تفرّقوا وتقهقر أشرف الى مدينة شيراز * ولما علم أن لا خلاص له خرج مع مائتي خيال قاصداً مدينة قندهار وتفرّقت جموع الأفغانيين مع أمرائهم وكان عددهم يبلغ عشرين ألفاً وفي مسيرهم الى بلادهم كانوا يكابدون المشاق من قلة الزاد ومعارضة الأيرانيين وسائر القبائل لهم بالقتل والنهب حتى تلف غالبهم ولم ينجُ الى بلادهم الاّ القليل

وأما شاه أشرف فكان يقاتل مع القبائل الى أن وصل الى بلوجستان فقابله أهلها بالقتل والسلب حتى لم يبقَ معه الاّ شخصان ثم تلاقى معه ابن عبد الله خان بلوج وعرفه فقتله وبعث برأسه مع قطعة الماس كانت معه الى

شاه طهماسب وكان ذلك فى سنة ١١٤٢ * وكان أشرف طيب السريرة حسن السيرة واسع الأخلاق حميد الأوصاف عند الأفغانيين وكان الأيرانيون أيضاً يفضلونه على محمود * وقد طالت سلطنة الأفغانيين فى إيران سبع سنين وقتل فيها من الأيرانيين بمحارباتهم مليونان من النفوس * وبعد ما نال نادر السلطنة الأيرانية ونزعها من أيدى الصوفية جهز ثمانين ألفاً لفتح قندرها ولما وصل اليها وجدها منيعة لوقوعها إذ ذاك فى ابط جبل يقال له (كود قيطول) وكان محيطاً بها على هيئة نصف دائرة وكان فى الجهة التى لم يحطها الجبل أبراج منيعة * فارتأى نادر أن يبنى مدينة بجانبها ليتمكن من الحصار وبعد أن حاصرها سنة كاملة ولم يفز بالافتتاح لوفور الذخيرة عند الأفغانيين أخذ سبيل المهاجمة واستولى على بعض الأبراج بعد كرّات عديدة ووضع عليه الأهوان والمدافع وسلطها على المدينة فتماطرت الكلل عليها فلم يجد أهل المدينة سبيلاً للسلامة سوى التسليم * ففتحوا الأبواب ودخلت عساكر نادر

فى المدينة ولم يحدث من دخولهم أدنى ضرر بالأهالى لأن نادراً كان قد أعلن العفو عن الأفغانيين تقريراً لما التزمه عند نيل السلطنة من دفع الرّفض وتقرير الترضى عن الصحابة * فانه عند ماطلب منه الأيرانيون أن يكون هو السلطان والشاه أبى ذلك وقال « لا أقبل السلطنة حتى ترفضوا الرّفض وترضوا عن الصحابة » فأظهروا له الرضاء وواثقوه على ذلك فقبل تاج الملك * ثم كاتب الدولة العثمانية « بأن الأيرانيين قد عدلوا عن سب الصحابة واطمأنوا للترضى عنهم ولكن المذهب الجعفري من المذاهب المعتبرة عند أهل السنة فنؤمل أن تأذن الدولة باقامة إمام للجعفريين فى مكة المكرمة كما لسائر المذاهب » فامتنع شيخ الأسلام عن ذلك وأغرى الدولة بعدم القبول

وقد بقى الأفغانيون تحت سلطة الأيرانيين من زمن موت شاه أشرف الى موت نادرشاه * ولما مات نادرشاه فى سنة ١١٦١ قام أحمد خان العبدلي السدوزاي الذى كان فى معسكر نادرشاه مع جموع من الأفغانيين والأزبك وهاجم

الأيرانيين ونازلهم منازلة عنيفة ثم انعطف بغاية السرعة الى قندهار واستولى عليها ووضع يده على الأموال الخراجية التى كانت تحمل من كابل وبلاد السند الى نادرشاه عند مرورها بقندهار وبذلك قوي إقتداره فادّعى الأستقلال ولقب نفسه شاه أفغان وسمى القبيلة العبدالية (دراني) * ثم وجّه عساكره الى هرات ومشهد وسجستان وغيرها من بلاد خراسان وافتتح الجميع وكان فى مكنته أن يفتح جميع بلاد إيران فى ذلك الوقت غير أنه رأى اشمئزاز نفوس الأهالى من الأفغانيين لما سبق لهم من الأساآت اليهم وأن تغيير المذهب الذى حدث فيهم بواسطة نادرشاه لم يكن متمكناً منهم * فعلم أن إفتتاح تلك البلاد لا يعود بعظيم فائدة واشتغل أولاً بتدبير داخليته واكتفى بتخليص أمته وترك بعضاً من بلاد خرسان لأبن نادرشاه قياماً بواجب حق أبيه عليه وتكفل له بحفظه * ثم لما رسخت قدمه فى الملك ودان له جميع الأفغانيين ساق عساكره ست مرات الى الأقطار الهندية ونال الظفر فى كل مرة خصوصاً فى الواقعة التى

وقعت بصحراء بني پتان (بالباء الفارسية فيهما) الواقعة بقرب مدينة دهلي * وكانت تلك الواقعة مع المراتيين من عبدة الأوثان الذين أعجزوا أعاظم السلاطين التيمورية فى الهند إذ كانوا يرومون نزع السلطنة من أيدي المسلمين وعساكرهم فى تلك الواقعة كانت ثمانين ألفاً وعساكر أحمد شاه كانت ستين ألفاً نصفها من الأفغان ولم يكن إعتماد أحمد شاه الا عليهم * فهزم بهم عساكر المراتيين شر هزيمة ونكلهم تنكيلاً حتى صارت هذه الواقعة سداً لسبيل فتوحاتهم * وانتشر له بهذه الواقعة أحسن ذكر بالبلاد الهندية وكان ذلك مؤيداً له فى فتوحاته الهندية فافتتح بلاداً كثيراً كبنجاب وكشمير وسند وما يتاخمها من البلدان * ثم فتح بلوجستان ومكران وبلخ وغيرها وخضع له بعد ذلك سائر الأمراء الكبراء الذين كانوا على مقربة من بلاده وصار بتدبيره وحكمته متسلطاً على مملكة عظيمة * وكان رجال مملكته من الغنى والثروة بمكان الا أن مالية الحكومة كانت فقيرة فان خراج أقطار كابل وقندهار

قد وهبه لأمراء القبائل الأفغانية ولم يكن يطلب منهم على ذلك عوضاً سوى الطاعة والأنتظام في سلك العسكرية

وكان هذا السلطان العظيم الشان من قبيلة (السدوزاي) على ما تقدم وهي القبيلة التي كان الأفغانيون يجلونها وينظرون اليها بعين الأعتقاد * وكان مع ذلك شجاعاً ذا عزمٍ وحزمٍ وتدبيرٍ محكمٍ وسداد رأيٍ وعلمٍ وحكمةٍ وسعة أخلاقٍ وطيب نفسٍ وعدلٍ وإنصافٍ ورحمةٍ بالضعفاءِ وعنايةٍ بشأن الرعية وإصلاحها * ومن أجل ذلك تمكنت محبته من قلوب رعاياه عموماً مع إختلافهم في الأجناس والمشارب ومن قلوب الأفغانيين خصوصاً حتى أنهم كانوا يعتقدونه من المقرّبين الى الله ويعدونه أباً لعموم الأفغانيين * ومن ثمّ لقبوه بابا وهو الى الآن يُعرف عندهم بهذا اللقب إذ يدعونه أحمد شاه بابا * واستقرّ عرش ملكه وسلطنته على دعائم الثبات والتمكن ولكن لما كانت العلة الحقيقية لثبات الملك والسلطنة هي حكمته وتدبيره ولم يكن في عقبه من يكون على مثل حاله وقعت

المملكة بعد موته فى إرتباك واضطراب * وكانت وفاته سنة ١١٨٥ وقيل سنة ١١٨٧ بعد ما قضى من العمر خمسين سنة وكان وقتئذٍ ولده تيمور فى مدينة (هرات) فلما سمع خبر الوفاة جمع العلماء والرؤساء وقواد العساكر وخاطبهم قائلاً «ان أبي وهو فى حال حياته قد جعلني وليّ عهده غير ان وزيره أغراه وهو فى الأحتضار بخلعي من ولاية العهد وتولية أخي سليمان بدلاً عني وهو الآن تُضرب له طبول السلطنة فى قندهار وقد وضع يده على خزانة والدي وعظمت بذلك قوّته واشتدّ بأسه فهل فيكم من يوازرنى على إسترداد حقي المغتصب » * فصرخوا خافضين له جناح الخضوع وقالوا بأجمعهم « ان السواد الأعظم معك وكلنا بين يديك وعلى أهبة لتنفيذ أغراضك» ثم اجتمعوا فى مزار «خواجه عبدالله الأنصارى» وقام الشيخ يحيى العالم المشهور إذ ذاك وقلده سيف السلطنة وخضع له جميع الأفغانيين واستعان بهم على أخيه حتى ظفر به وسجنه فى قفص ولبث فى السجن زمن سلطنة

تيمور الى أن مات فيه وكانت وفاته سنة ١٢٣٣ * ثم قتل وزير أبيه الذى كان قد سعى فى خلعه ثم ساق الجيش الى هندستان وكشمير ولاهور والجأ من نبذطاعة الأفغانيين الى الدخول فى طاعتهم * وبعد ذلك ببضع سنين قلد ولده الثانى (محمود) ولاية هرات ونقل كرسي السلطنة من قندهار الى كابل وجعل المتصرّف فيها ولده الثالث (زمان) وقد كان هذا الولد على جانب عظيم من مكارم الأخلاق * واتفق فى تلك الأيام أن شاه مراد بك أمير بخارى أغار على مدينة مرو فدمّرها وأسر جميع أهلها وكانو على مذهب الشيعة فاستغاثوا بتيمور شاه فهمّ لأستنقاذهم ولكن حال بينه وبين ذلك فيض الله أحد القضاة حيث أفتى بأنه لا يجوز لسنيٍّ أن يسعى فى خلاص شيعيّ (فاعتبروا يا أولى الألباب) * وتوفي تيمور بكابل ليلة الثامن من شوّال سنة ١٢٠٧ وماتت راحة الأفغانيين بموته وكان حسن السيرة لين العريكة محباً للسلم ومن أجل ذلك قد نبذطاعته بعض أمراء البلدان * وكان له من النساء ثلاثمائة

من الحلائل ليس فيهن أفغانية وخلف أثنين وثلاثين ولداً
ولما سمع همايون وهو فى قندهار خبر وفاة والده
قام فى قومه برسم السلطنة وحشد الجنود وتوجه بها الى
كابل ليستولي عليها فبلغ ذلك أخاه زمان فخرج لمقابلته
بجيش جرّار فتلاقيا واحتدم القتال بينهما فى (كلات
الغلجاي) * غير أن همايون لم يثبت أمام أخيه بل فرّ الى
هرات والتجأ بأخيه الآخر محمود والتمس منه أن يعينه
على زمان فلم يجبه * ولما آيس منه ترك هرات وسلك
طريق قندهار واتخذ له مقاماً بين المدينتين * فاتفق أن
قافلة كانت تأتي من قندهار الى هرات فاعترضها همايون
وقتل رجالها وسلب أموالها واستعان بها على حشد
جيش ليعاود قتال أخيه زمان * فبلغ ذلك حيدر ابن زمان
فخرج لصدّه فلم يقوَ عليه بل انهزم * ودخل همايون
مدينة قندهار وعامل أهلها بالخشونة وعذّب تجارها
ونهب أموالهم وجيّش بها الجيوش * ولما سمع بذلك
زمان شاه ساق جيشه نحو قندهار وأخذ فى الحملة على

همايون وكانت الدائرة عليه ففرّ الى (ملتان) وقاومه واليها حتى هزمه وقتل ولده وأخذه أسيراً وبعث به الى زمان شاه فأمر بسمل عينيه * وبالجملة ان زمان شاه بمعونة القاضي فيض الله وباينده خان وبمساعدة البخت قد خلص له الملك بعد أبيه واتخذ رحمة الله خان وزيراً له مع أن الأمراء نصحوه بعدم توليته هذا المنصب فلم يسمع نصائحهم ولزم من إقامته فيه فسادٌ على مابينه * وقد نفذت سلطة زمان شاه فى البلاد التى كانت تحت سلطة آبائه كسند وكشمير وملتان وديره وشكاربود وبلخ * ثم سار بنفسه الى قندهار وفى أثناء ذلك قام أخوه محمود فى هرات وادعى الأستقلال وحشد العساكر وسيّرها نحو قندهار * فلما أحسّ بذلك زمان شاه خرج منها وتوجه لمقابلته فتلاقيا بين كرشك وزمين داود * فطلب زمان شاه أولاً المصالحة من أخيه محمود فأبى إتكالاً على قوته فاشتعلت نيران الوغى بين العسكرين وانجلت بهزيمة محمود ففرّ الى هرات ووقع كثيرٌ من أمرائه فى الأسر

وخزينته فى قبضة عساكر أخيه * وبعد هذه الواقعة وقعت المصالحة بينهما على شرط أن تكون هرات وفره تحت امرة محمود وأن تقرأ الخطبة وتضرب السكة فيهما بأسم شاه زمان * ثم توجه الشاه الى كابل ومن كابل الى لاهور وتسلط عليها وعلى الممالك القريبة منها وعادت تلك النصرات على عساكره بالثروة والغنى

وبينما هو فى نواحي لاهور إذ بلغه أن محموداً نقض المعاهدة ويريد فتح قندهار فأسرع بالرجوع اليها ومنها توجه الى هرات * فلما سمع بذلك محمود جمع عساكره وخرج من هرات لمقابلته الا أنه بلغه أن الأمراء الذين تركهم فى مدينة هرات قد أثاروا الفتنة فيها ونزعوا لتسليمها بغضاً فى وزيره لكونه شيعياً فاضطر للرجوع * ولما دخل المدينة قام عليه (قلج خان) الذى كان رئيس اويمق (طائفة من الترك) مع فرقة من عساكره وأظهروا العصيان فأرسل وزيره الشيعي ليستميلهم فحبسوه وأبو الا العدوان * وفى هذه الحالة سمع أن

قيصر ابن شاه زمان قرب من المدينة فلم يجد محيصاً من الهرب فخرج مع إبنه كامران وفرّ الى بلاد العجم والتجأ الى فتح علي شاه جد هذا الشاه الموجود الآن (١) * فدخل قيصر مدينة هرات بلا ممانع ثم حلّ بها شاه زمان أبوه وجعله والياً فيها * وبعد مدة رجع محمود الى نواحي هرات وجمع بعضاً من العساكر لفتحها إلاّ أنه لم ينجح بل انهزم وحيث لم تطب نفسه بالرجوع الى فتح علي شاه ذهب الى أمير بخارى (شاه مراد) وبعد أن لبث عنده ثمانية أشهر إستأذن منه فى الذهاب الى خوارزم ثم توجه من خوارزم قاصداً فتح علي شاه سلطان إيران مرة ثانية * وبعد ماقضى مدة من الزمن عنده إستعان به على تجهيز جيش جرّار وساقه الى قندهار فدخلها بدون ممانعة ثم اتصل به فيها فتح محمد خان ابن بايندة خان وساق معه الجيوش الى كابل * فلما سمع بذلك شاه زمان

---

(١) أي جد المغفور له ناصر الدين شاه والد جلالة مظفر الدين شاه ايران الحالي أدامه الله

خرج لملاقاتهما ولما التقى الجمعان وقعت بينهما حرب هائلة أريقت فيها دماء غزيرة من الطرفين وانتهت بهزيمة شاد زمان ووقوعه أسيراً بيد أخيه شاه محمود فأمر بسمل عينيه وقبض على وزيره رحمة الله خان الخائن الذي قد كان لطمعه فى السلطنة أغرى شاه زمان بقتل جميع الأمراء وفيهم بايندهخان أبو فتح محمدخان الذي اتصل بمحمود * فأمر محمود بتجريد هذا الوزير الشرير من ثيابه وإلباسه ثوباً من حصير وإشهاره فى المدينة على حمار ثم بقتله بعد ذلك * ولما لم يقوَ قيصر ابن شاد زمان على مقاومة عمه ترك مدينة هرات لفيروز الدين شقيق محمود والتجأ الى شاه إيران فتمت السلطة لمحمود وتسلط على كرسي كابل * ولما كان محمود يميل الى مذهب الشيعة نفرت منه قلوب السنيين فتحرك عرق حميتهم وثاروا عليه ثم خذله الشيعيون أيضاً وأجمع أمر الجميع على إعناته فألقوا القبض عليه وحبسوه فى (بالاحصار) وأخرجوا شادزمان الأعمى من الحبس ليحكم فيهم الى أن يصل اليهم شاه شجاع * وبعد

خمسة أيام قدم شاه شجاع من البنجاب فأخرجوا محموداً من السجن وقدموه الى شاه زمان ليقتص منه فعفا عنه رحمة به وأمر برده ليحبس فى بالاحصار * وبعد زمن قليل توجه شاه شجاع بجيش جرّار الى كشمير لتأديب واليها عطا محمد خان ابن شير محمد خان حيث بلغه عصيانه* فلما وصل الى مدينة مظفر آباد بقرب كشمير وافاه سفير من قبل عطا محمد ليعتذر للملك عن عصيانه ويعرض عليه طاعة سيده وعبوديته له فرجع شاه شجاع بعد ما وثق من معاهده * وبينما هو فى الطريق إذ بلغه أن محموداً ومن كان معه من الأمراء فى الحبس ذبحوا حرس القلعة وفرّوا والتحقوا بفتح خان الذى كان مسجونا فى قندهار وتخلص من سجنها واتصل بكامران ابن محمود وهو وقتئذٍ فى نواحي الأراضى الأفغانية وأنه قد وقع لذلك اضطرابٌ شديد فى مدينة كابل* فلما ورد شاه شجاع المدينة وشاهد القلق المستولي على أهاليها تأسف لذلك أسفاً عظيماً* وبعد إجتماع محمود وإبنه وفتح خان ذهبوا الى هرات

ليستعينوا بالأمير فيروز لدين السابق ذكره والي تلك المدينة فقابلهم بكل احترام وقدّم اليهم بعض هدايا وألبسة فاخرة الاّ انه لم يأذن لهم بدخول المدينة وأبى مساعدتهم وأبدى لهم عن ذلك أعذاراً فانقلبوا راجعين * وفي أثناء رجوعهم صادفوا قافلة آتية من هرات الى قندهار وأخرى من قندهار الى هرات فأجمعوا أمرهم على أن يقطعوا سبيل هاتين القافلتين ويسلبوهما وقد فعلوا * وبعد أن تمت لهم الغنيمة جهزوا أربعة آلاف خيال لفتح قندهار فلما اقتربوا منها برز اليهم واليها عالم خان بعساكره وكانت مقتلة عنيفة انتهت بأسر عالم خان وبعد مدة يسيرة افتتحوا المدينة واستولوا عليها * ثم بعد مضي زمن جهزوا مائة الف وساروا بها لمحاربة شاه شجاع فالتقى الجمعان في قزنه وبعد ملحمة مهولة تقهقر شاه شجاع وفرّ الى كابل * وحيث لم يكن على ثقة من الأهالي لم يركن اليهم فبارح المدينة متوجهاً الى بيشاور بعد أن ترك فيها الأمير حيدر ابن شاه زمان * وبذلك تمّ الظفر لمحمود فدخل واستولى على عرش الملك وأبدى

لرعيته علائم الشفقة والرحمة وقلد فتح خان منصب الوزارة وفوَّض اليه مهام أعمال السلطنة وأطلق له التصرف ونصب إبنه كامران والياً على قندهار * ثم ان فتح خان أقام جميع إخوته ولاة فى الممالك الأفغانية

وفى خلال تلك الوقائع قتل كامران قيصر الذى أسلفنا خبر هربه الى إيران وكان عوده لما سمع من أن عمه شاه شجاع صار سلطاناً وبعد مدة طرد شاه شجاع من بيشاور فراسل عطا محمد والي كشمير يطلب منه أن يمدّه بالدنانير والدراهم * فأجابه عطا محمد « بأنك إن بعثت ما لديك من الجواهر رهناً أرسلت اليك ثلاثين لك روبيه » (كل لك منها يساوي عشرة آلاف جنيهاً) ولم يكن عند الشاه من الجواهر سوى جوهرة كبيرة تسمى (درياي نور) أى بحر النور فقدمها لعطا محمد فأرسل اليه خمسة عشر لكاً ووعده بارسال الباقي * فجهز شاه شجاع جيشاً ورجع به الى بيشاور ليسير منها الى مدينة كابل * فلما بلغ محموداً خبره أخرج شاه زمان

من السجن وخاطبه قائلا له « ان المملكة قد حاق بها الضرر وآلت الى الخراب وأريقت دماء المسلمين هدراً فهلموا بنا نستبدل الشقاق بالاتفاق ونشتغل فيما يعود على المملكة بحسن العاقبة وعليّ أن أقوم بجميع واجباتكم وإنزال كل واحد منكم منزلة لائقة به وأطلق جميع الأمراء المحبوسين من قيودهم وعليكم أن تراعوا مكانتي نظراً لكوني إبناً بكراً لأبينا »

ولما سمع شاه زمان هذا الخطاب بعث يخبر به أخاه شاه شجاع فلما وصل اليه الكتاب اتخذه وسيلة لتهديد عطا محمد إذ كتب اليه « إن لم تعني بالمال والرجال لأتفق مع أخي على قلع أساسك » فاهتم لذلك عطا محمد وجهز خمسة آلاف وسار بها الى بيشاور * ففرح لذلك شاه شجاع ظناً منه ان عطا محمد قادمٌ لأمداده ولكنه أضمر غدراً وفاجأ الشاه بتلك المدينة وقبض عليه وأخذه أسيراً فى قفص الى كشمير واجتهد فى تحصينها وكاتب حكومة الانكليز فى الهند للاتفاق معه على أن

يجهز جيشاً لحرب رنجيت سنك الوثني (١) الذي اغتصب في أثناء تلك المناوشات الأهلية بعض البانجاب من بلاد الأفغانيين وتخليص البلاد التي استولى عليها وتركها بقبضة الانكليز بشرط أن تعضده إن قصده محمود بسوء * فوقعت المكاتبة بيد جواسيس رنجيت سنك وقدّموها له فبعث بها الى محمود طالباً منه أن يتحد معه في الهجوم على عطا محمد فجهز كلٌّ منهما جيشاً وفاجآه فاخذاه أسيراً * الاّ أن محموداً قد عفا عنه وخلص شاه شجاع من الأسر وأقام فتح خان الوزير أخاه عظيم خان والياً على كشمير واستصحب رنجيت سنك شاه شجاعاً وذهبا الي مدينة لاهور

ثم بعد مضي سنتين شرهت نفس رنجيت سنك

---

(١) هو من أتباع بابا نانك الذي نبغ في الزمن الاخير بين عبدة الاوثان ووضع كتاباً منتخبا من مؤلف جاويد الكتاب السماويّ المقدس مسمياً اياه «كريت» وهذا الانسان قد جوّز أكل اللحوم خلافاً لغيره من عبدة الاوثان ونهى عن وضع الاصنام بمعابدهم مشيراً الي وجوب الاعتياض عنها بكتابه المذكور . (اه المؤلف)

للاستيلاء على كشمير فجهز ثمانين ألفاً من عبدة الأوثان البابانا كيين وسار بها الى تلك المدينة ولم يكن عند عظيم خان سوى عشرة آلاف من المسلمين * فكمن بهم حتى دخل الجيش الوثني الوادي فأحدقت بهم العساكر الكامنة من الجهات الأربع وأوقعوا بهم قتلاً وأسراً فكان عدد من قتل وأسر أربعين ألفاً وفرّ باقي العساكر الى بلادهم ناجين بأنفسهم مع العناء والمشقة * فانفعل لذلك رنجيت سنك وكتب يستعطف محموداً ويعتذر اليه مما فعل قائلاً « ان الذى أغراه على مافعل انما هو شاه شجاع » * ولما استشعر بذلك الشاه همّ بمفارقة لاهور فطمع رنجيت سنك فى مجوهراته فأبى أن يسلمها اليه على وجه الملكية بل أعطاه اياها على سبيل الأمانة وكان من جملتها درباي نور (وأظن أنها هي التي أصبحت الآن درّة تاج بريطانيا) * ثم فرّ ليلاً والتجأ الى حكومة الانكليز فتأسف رنجيت سنك لذلك وكتب اليه يستميله الى الرجوع فلم يطب به نفساً فردّ

عليه مجوهراته * وأما الانكليز فانهم عدُّوا التجاء الشاه اليهم من أسباب حظهم فأكرموا وفده

وفى تلك الأوقات تحركت عزيمة شاه زمان الأعمى الذى كان موقراً عند العلماء والأمراء للسفر الى بلخ قاصداً زيارة قبر هناك مشهور بأنه قبر سيدنا علي (رضه) فبلغها وسافر منها الى بخارى فقابله أميرها «مير حيدر» بالتعظيم والأجلال وتزوج بابنة الشاه * ثم سافر من بخارى الى طهران فأكرمه فتح علي شاه مزيد الأكرام وزوّده * ثم شخص الى بغداد وكان واليها إذ ذاك داود باشا المشهور ومنها قصد الحج فمات فى الأقطار الحجازية

وفى خلال تلك الحوادث سنة ١٢٢٢ من الهجرة أزمع حاجى فيروز الدين الذى كان والياً فى هرات من طرف أخيه محمود أن يفتح خراسان معتمداً على همة (صوفي الأسلام) البخاري الذى هو من الصوفية الجهرية وقد كان ترك بلاده خوفاً من «بيك بان

الأزبك » وكان أيضاً يزعم أن الوحي ينزل عليه وانه يقدر على خرق العادات طامعاً أن يرتقي بأنفاسه الباطنية الى عرش السلطنة * فجهز خمسين ألفاً من قبائل هرات وقندهار واندخود وكندز وميمنة وفارياب وسار بها الى قلعة شكيبان * فلما أحسَّ بذلك نائب خراسان محمد خان فاجار جهز جيشاً لمقابلته * فلما تقابل الجيشان على بُعد سبعة فراسخ من هرات اشتعلت نيران الحرب بينهما حتى فني كثير من الحزبين وقتل صوفي الأسلام المذكور وكان فى قلب المعسكر داخل هودج مزركش محاط بثلاثمائة وستة وستين من خلص أتباعه بعد ماقتلوا جميعاً * فعند ذلك تقهقرت عساكر فيروز الدين الى هرات وأما عساكر محمد خان فقد أحرقوا جثة صوفي الأسلام وأرسلوا جلدة رأسه بعد سلخها وحشوها تبناً الى فتح علي شاه *(هذا جزاء من أوقع الفتنة بين طائفتين من المسلمين حتى سفك بعضهم دم بعض حيث غرّهم وأوهمهم بمشيخته وتمويهاته وإدعائه الكاذب أنه ممن

ينتهي اليهم زمام التصرّف في عالم الكائنات بما ينطوي عليه من القوة الآلهية والأسرار الربانية)

وبعد إنهزام فيروز الدين اضطر الى أن يرسل الى الشاه هدايا فاخرة استمالة لقلبه و إتقاءً لضرره بكف عساكره عنه * وقد تعهد أيضاً أن يقدم الى سدّة الشاه كل سنة جزءًا وافراً من الخراج * وكان فيروز بعد هذه المصالحة مع الأيرانيين بين إقدامٍ وإحجامٍ ومحاربةٍ ومصالحةٍ وتسننٍ وتشيعٍ الى أن اشتدّت المنافسة بينه وبين حسن علي ميرزا ابن فتح علي شاه والي خراسان وخاف من إغارته على بلاده * فأرسل سفيراً الى أخيه شاه محمود يستمد منه فعدّ ذلك محمود وسيلة للاستيلاء على مدينة هرات فأرسل وزيره فتح محمد خان بجيش جرّارٍ ولما وصل الى المدينة استوحش منه فيروز ولم يسمح بدخوله فيها بل أمره أن يتوجه لأخذ غوريان من يد الأيرانيين * الاّ ان فتح محمد خان كان مأموراً من طرف سيده بدخول مدينة هرات فلم ير بداً من إعمال الحيلة لأخذها

فأرسل الى فيروز يطلب منه القدوم الى المعسكر ليستشيره فلما خرج اليه قبض عليه وأرسله مع أهله أسيراً الى قندهار ودخل المدينة وأقام بها وجهز أخاه كهندل خان لتسخير غوريان ونشر مكاتيب فى بلاد خراسان يدعو بها رؤساء القبائل للاتحاد معه على محاربة الأيرانيين

ولما سمع بذلك حسن علي ميرزا أرسل جيشاً لمحافظة تلك البلدة ولما حصل التقاوم بين المدافعين والمهاجمين جهز فتح خان جيشاً كبيراً من أهالي قندهار وهرات وبلوجستان وسجستان وقبائل جمشيدي وهزاره وفيروز كوهي وساربه مصحوباً بالمدافع والزنبورك لتسخيرها وسائر بلاد خراسان الباقية تحت سلطة الأيرانيين * وعند وصوله الى كوسيه بلغه ان حسن علي ميرزا وصل بعساكره الى « كافر قلعة » لمقاومته وكان بينهما إذ ذاك فرسخان * فأرسل اليه سفيراً يطلب منه تسليم غوريان ويهدده بالحرب قائلاً « مَن ذا الذي يدري عاقبة الحرب أهي لك أو عليك وربما

أوقعك كبرك وإشمئزازك الناشئان عن رؤيتك نفسك ابن سلطان فى أمرٍ يوجب تزلزل سلطنة أبيك » فأجابه حسن علي ميرزا على لسان سفيره « بان سيدك محموداً المتربي بنعمة الشاه لايليق به أن يتكلم بمثل هذا الكلام فضلاً عن خائنٍ مثلك، قد حارب ساداته السدوزائية »

فلما رجع السفير خائباً ساق فتح خان عساكره الى كافر قلعة ووقعت بين العسكرين محاربة مهولة قُتل فيها جمٌّ غفيرٌ من الفريقين حتى إذا كاد أن ينهزم العساكر الأيرانيون أُصيب فتح خان برصاصة فى فمه فتقهقر الى هرات فاضطرب شاه محمود وولده كامران اللذان كانا وقتئذٍ فى المدينة * فأرسل ملاّ شمس مفتي هرات وخان ملاخان (اى شيخ الأسلام) الى فتح علي شاه ليخبراه ان هذه الجراءة من فتح خان ولم تكن بعلم من محمود وليستعطفا قلبه اليه* ولما اطلع الشاه على فحوى السفارة خاطب السفراء قائلاً « اني لاأرضى من شاه محمود الاَّ أن يبعث اليّ فتح خان أويسمل عينيه » * ولما

أحاط كمران بذلك علماً حمله الجبن وضعف النفس وقلة العقل على سمل عيني هذا البطل الشجاع الذى أقعد أباه على كرسى السلطنة وحبسه مع أخيه « شيردل خان »* وفرّ (دل خان) أخوه الثانى من هرات الى قرية « نادعلي » وتحزّب مع جماعة من الغلجائي على كامران ليخلص أخويه*وعند سماع كامران هذا التحزّب أمر باطلاقهما جبناً منه وضعفاً

ولما شاع خبر سمل عيني فتح خان ووصل الى مسامع أخيه الثالث الشديد البأس « عظيم خان » والي كشمير أرسل اثنين من إخوته وهما « دوست محمد خان » و « يار محمد خان » الى بيشاور لطلب شاه زاده أيوب أخي محمود ليقلداه السلطنة وقد فعلا ونادیا باسمه ودخلا فى حدود « جلال أباد » وهجم دوست محمد خان على كابل وافتتحها وأرسل أيضاً أخاه محمد زمان خان لطلب شاه شجاع الذى كان مقيما فى البلاد الهندية التى كانت تحت سلطة الانكليز * فجاء شاه شجاع المذكور

وحارب « سمندر خان » والي دره وغلبه وبالجملة فقد قام إخوة فتح خان الذين يبلغ عددهم عشرين رجلاً واتحد كل واحد منهم بواحد من أبناء تيمور شاه الذين يبلغ عددهم اثنين وثلاثين رجلاً وداروا بهم في البلاد الأفغانية شرقاً وغرباً وقلعوا أساس ملك محمود ولم يبق في يده سوى قندهار وهرات ثم انتزعوا الملك من أبناء تيمور واستقل كل واحد في ولاية من ولايات أفغانستان * كل ذلك أخذاً بثار عيني أخيهم

ثم بعد زمن قليل استولوا على قندهار ونزعوها من يد محمود أيضاً فانحصرت سلطة محمود على هرات ونواحيها * وفي سنة ١٢٤١ ساء ظن محمود بابنه وتفرّس منه العصيان وخاف منه أن يقبض عليه فخرج من هرات وجمع بعضاً من قبائل « فراه » وتوجه لمحاربته فاضطر إبنه للالتجاء بحسن على ميرزا والاستغاثة به فأغاثه فغلب أباه وهزمه * وأعدّ كامران أي الابن المذكور بعد هذه الواقعة مأدبة فاخرة في هرات دعى اليها حسن

علي ميرزا وسلمه مفاتيح خزائنه

وفى أثناء هذه الفتن استفحل أمر رنجيت سنك الوثني الذى سبق ذكره حتى استولى على ولاية كشمير على غيبة من محمد عظيم خان واليها حيث ذهب الى كابل لزيارة أخيه دوست محمد خان * وفى سنة ١٢٤٥ أرسل كامران سفيراً الى الشاه ليستعين به على أبيه محمود ثانياً فصادف وصول السفير الى إيران وفاة أبيه بمرض الوباء * وتلاقى هذا السفير مع فيروز الدين الذى ذكرنا أنه حبس فى قندهار وكان قد هرب منها الى إيران فى فتنة فتح خان فاتفق معه على خلع كامران وإجلاسه على كرسى هرات وأغراه بأن يستعين بالشاه على ذلك* وبعد ما أبرما أمرهما وجهزا بعضاً من الجيوش وقفلا الى هرات وقعت فى أثناء الطريق منازعة بين خدم فيروز وبعض الأيرانيين فخرج لمساعدة خدمه فقتله الأيرانيون على غير علم منهم

وفى سنة ١٢٤٨ عزم عباس ميرزا على أن يفتح

هرات فأرسل إبنه محمد ميرزا مع عسكرٍ جرّارٍ اليها ووقعت محاربات شديدة آلت الى محاصرتها * وكان سفير الانكليز (مستر كميل) وقتئذٍ قد سعى سعياً بليغاً لمنع هذه المحاربة ولكن خاب مسعاه * و بينما كان محمد ميرزا محاصراً لتلك المدينة إذ بلغه موت أبيه فرأى من المصلحة أن يطلب المصالحة مع كامران فوقع هذا الطلب عند كامران موقع القبول وحوّل أمر المصالحة على وزيره (يار محمد) الذي كان إذاك محبوساً عند الأيرانيين فى مشهد * فعقدت المصالحة على أن تضرب السكة فى هرات بأسم فتح علي شاه وأن يدفع له كامران في كل سنة خمسة عشر ألف تومان

ولما علم الانكليز أن دخول الممالك الأفغانية فى حوزة الأيرانيين يستعقب زوال سلطتهم فى الهند جهزوا شاه شجاع وأيدوه بعساكرٍ من لدنهم وأوعزوا الى رنجيت سنك الوثني وأمير السند « مير غلام علي خان » بتأييد شاه شجاع فلبيا دعوتهم وان لم يكونا تحت سلطتهم

فأيداه وعززاه بالعساكر حتى تم له من العساكر نحو ثلاثين ألفا وتقدم بهم الى قندهار من طريق بنجاب * فقابله كهندل خان و إخوته وقاتلوه فهزموه شر هزيمة وفر الى هرات واستنجد ابن أخيه كامران فأبى وبعد معاناة مشاق كثيرة وصل الى بلاد بلوج ومنها الى الهند * (والحاصل ان شره تيمور شاه وإنهماكه فى الشهوات وحرصه على اللذات وكثرة أولاده من أمهات مختلفة أوجب سلب الراحة وزوال الأمنية عن الأهالى وسفك دماء ألوف من الناس وحرص كل من أبنائه على الملك تسبب عنه حرمان الجميع)

وفى سنة ١٢٥٠ عزم كامران على فتح سجستان فالتجأ أميرها الى محمد شاه ابن عباس ميرزا فاتخذ الشاه ذلك وسيلة الى فتح هرات فجهز جيشاً وسار اليها وحاصرها زمناً طويلاً وكان الأفغانيون يخرجون من الحصار ويهاجمون عساكر الشاه ببسالة غريبة * ولما اشتد الأمر على كامران أرسل إبنه نادر ميرزا الى

« ميمنه » و « شبرفان » و « سربول » ليدعو الأزبك وهزاره فأجابوا دعوته وجهزوا جيشاً عظيماً وساقوه الى هرات لرفع الحصار عنها ووقعت بينهم وبين عساكر الشاه محاربات كثيرة قتل فيها جمع كثير من الطرفين ثم استظهرت عساكر الشاه عليهم فاضطرب لذلك كامران واستشار وزيره فى أمره فانحط رأيهما على المناداة بالحرب الدينية * فتوسلا بملا عبد الحق أحد علماء هرات العظام فقام يوم الجمعة وأذن فى الناس بالجهاد الديني فلباه أهل المدينة وسكان القرى القريبة منها * فاغتسلوا غسل الجمعة وقصوا أظفارهم ولبسوا أكفانهم وخرجوا يهجمون على أعدائهم وأوقعوا بهم وقتلوا كثيراً من أعيان الأيرانيين الا انهم لم يقدروا على إجلائهم فرجعوا الى البلد

وبعد أن طال زمن الحصار توجه سفير الانكليز (مكنيل) من طهران الى المعسكر وبعد ان تقابل مع الشاه ورأى ان إفتتاح المدينة قد قرب وفى علمه ان ذلك يوجب إنقياد الأفغانيين وإتحادهم معه وفيه من

المضرة بسلطتهم في الهند مالا ينكر قال للشاه « دعني أدخل المدينة وأرضى كامران بالتسليم » فأذن له الشاه ظنًّا منه أنه صادق فيما يدعي * فلما دخل المدينة ولاقى كامران أخذ في تشجيعه وتثبيته وقال « لا يصح لك أن تسلم أصلاً وانك إن تثبت زمناً ما نرسل لك المدافع والبنادق والذخائر » وواثقه على ذلك ثم خرج وقال للشاه « انني كلما هددته هو وعساكره أو رغبتهم لم ينجع مقالي فيهم ولم يرهبوا لتهديدي ولم يطمعوا لترغيبي .... » * وبعد ذلك أمر الشاه بجمع النحاس الموجود في المعسكر فعملوا منه مدفعاً كبيراً هائلاً ورفعوه على تلٍّ عالٍ وسلّطوه على المدينة وأخذوا في إطلاقه فاشتد البلاء على مَن فيها مع شدّة القحط والغلاء حتى أنهم أخرجوا من الضعفاء والفقراء نحو أربعة عشر ألفاً فأرسل كامران سفيراً لعرض التسليم * ولما استشعر بذلك سفير الانكليز اضطرب وأرسل الى كامران سرًّا يطلب منه التثبت ويعده بأنه سيرفع هذا البلاء عنه

ثم ذهب الى الشاه وقال له « ان بين انكلترا ودولتكم مودّة وان فتح هراة يستوجب ثوران الفتنة فى الهند فأرجو منكم أن تكفوا عنه » فلم يقبل رجاءه

ولما سئم الشاه من طول المحاصرة ركب جواده وتقدم أمام العساكر ونادى فيهم بالهجوم على المدينة فهجمت العساكر دفعة واحدة واطلقت المدافع عليها فتهدّم كثير من أسوارها وكادت تفتح لولا أن السفير الانكليزي تقدم الى الشاه وقال « انى أتوسل اليكم أن تأذنوا لي فى الذهاب الى المدينة ثلاثة أيام حتى آتي بكامران ووزيره وأسلمهما لكم بدون سفك دماء وسلب أموال ولمجد انكلترا لا تردّوا رجائي هذا » * فأذن له الشاه بذلك لمجد انكلترا ولما اتصل بكامران وشيعته أعطى لهم خمسة آلاف جنيهاً وقال « ان الحرب قد وضعت أوزارها ثلاثة أيام فأقيموا ما انهدم من الأسوار وتثبتوا الى أن تأتي مراكبنا من خليج فارس» ولما اطلع الشاه على ذلك طرده من المعسكر * وبعد

ذلك احتد الشاه واضطرمت نيران غضبه وأعاد الهجوم على المدينة وحمى وطيس الحرب وثبت الأفغانيون فى المدافعة وبلغ من أمر الأيرانيين ان كانوا يصعدون الى رأس القلعة والأفغانيون كانوا يدافعونهم عنها وكثرت القتلى بين الطرفين

وفى أثناء تلك الملحمة جاءت مراكب الانكليز فى خليج فارس واستولت على جزيرة خارق فلما بلغ الخبر مسامع الشاه رأى من الأولى به أن يترك المحاصرة ويشتغل بمدافعة الانكليز عن بلاده * وكان سائر مأموري الانكليز مدة المحاصرة يحثون أمراء كابل وقندهار على حرب الأيرانيين ويحملون العلماء بالدراهم والدنانير على المناداة بالحرب الدينية ولكنهم لم ينجحوا فى مساعيهم * ولقد طالت مدة هذه المحاصرة عشرين شهراً وكان ذلك سنة ١٢٥٥

ولما علم الانكليز من أمراء الأفغانيين الميل الى الأيرانيين إذ كان (دوست محمد خان) أمير كابل و(كهندل خان) والي قندهار وسائر اخوتهما الذين

نالوا الملك بعد تفرّق كلمة أبناء تيمور يراسلون الشاه فى خلال محاصرته لمدينة هرات ويوادّونه ويرسلون السفراء اليه توجسوا من ذلك شرًّا خيفة إتفاقهم الذي يوجب تقلص ظلهم من بلاد الهند * فأخذوا إذ ذاك يترقبون فرصة لأستيلائهم على بلاد الأفغان * فلما أحسوا من الأفغانيين النفور والأشمئزاز من أمرائهم الجدد رأوا إذ عنت لهم الفرصة أن يتخذوا شاه شجاع واسطة يتوسلون بها الى غرضهم من الاستيلاء على تلك البلاد * فجهزوه فى جيشٍ جرارٍ مؤلف من جنودٍ منتظمةٍ وغير منتظمة تقودهم المهرة والأمراء ذوو المراتب السامية والمناصب الرفيعة من الانكليز * فسار شاه شجاع بذلك الجيش من طريق البلوج وسجستان الى قندهار وكان قد تقدم هذا الجيش رجال يدعون الأفغانيين الي شاه شجاع ويذكرونهم بأنه الوارث الحقيق للملك وهو أحق بالسلطنة ويحثونهم على التخلص من سلطة هؤلاء المتغلبين عليهم * ولما وصل الشاه الى

قندهار رأى واليها كهندل خان أن لا طاقة له على
مقاومته لقلة جيوشه وشدة ميل أهل المدينة الى الشاه فخرج
هو وعائلته فى خمسمائة من خيالته وقصد طهران فأكرم
محمد شاه مثواه وقلده ولاية (شهر بابك) من بلاد فارس
ثم ان شاه شجاع جعل (تاو) الانكليزي والياً
على ولاية قندهار وبعد ذلك سار بجيشه الى كابل وفتح
فى مسيره مدينة قزنه * وبعد وصوله الى كابل لم يجد
دوست محمد خان أميرها من نفسه قوة على المقاومة ولا
إقتداراً على المصادمة فاضطر الى الخروج منها وقصد
بخارى ليستعين بأميرها فلم ينجح قصده ورأى منه عدم
الاحتفال به بل الاهانة والتحقير فانقلب راجعاً وسلم نفسه
الى الانكليز فأخذوه أسيراً وبعثوا به الى كلكوتا * أما
شاه شجاع فقد جعل (ميجر باتنجر) من أعيان الأنكليز
والياً على كابل ثم استولى على جلال آباد بدون منازع
ولا ممانع * وبعد هذا أرسل الانكليز (بنت جركه)
فى عشرين خيالاً من الانكليز مع ثلاثمائة الف جنيهاً

الى كامران ليعطيه إياها ويدعوه الى إجابة دعوة شاه شجاع فقبلها وأبقى الرسول الانكليزي ومَن معه عنده حتى أنفق ذلك المبالغ فى تحصين القلاع والاستحكامات وجمع الذخائر ثم طردهم جميعاً وبعث أثر ذلك الى محمد شاه يعتذر له عما فرط منه فى حقه وقَبِل أن يخطب ويضرب السكة باسمه وكان ذلك سنة ١٢٥٧ * وعلى كل حال قد استتب الأمر وتوطدت السلطنة فى غالب أنحاء البلاد الأفغانية لشاه شجاع لكن صورةً والانكليز معنىً حتى أيقن الانكليز كافةً أن البلاد الأفغانية آلت اليهم وصارت جزءًا من ممالكهم يستحيل تملصها من أيديهم وقد لبثوا فيها ثلاثة سنين وبضع شهور

ثم فى شهر جمادي الثانية سنة ١٢٥٨ أرسل شاه شجاع أشخاصاً يحصلون أموال الجباية من بعض القبائل فأبوا دفعها واستعصوا وتمردوا ووقعت بينهما مناوشة جزئية* فلما بلغ شاه شجاعاً خبر تمردهم أرسل جماعة من العساكر لكبحهم وتأديبهم فلما رأى المتمردون من أنفسهم عدم

الأقتدار تبدّدوا فى قلل الجبال * وفى غرّة رجب خرج من مدينة كابل ثلاثة من خوانين (جمع خان) الغلجائي وانضمّ اليهم جماعة من القبائل وأخذوا فى شن الغارة وقطع الطريق ينهبون ويسلبون واتخذوا لهم إستحكاماً فى موضع على مسافة ثلاثة فراسخ من كابل وصار الطريق منها الى الهند مقطوعاً

وفى أثناء ذلك اتفق أن محمد أكبر خان الذى كان بعد أسر أبيه دوست محمد خان يجوب المدن ويجول فى البلاد ورد مع جماعة من رجاله على مدينة باميان فاجتمع به هؤلاء وانضمّ الى الجميع أيضاً جماعة من طائفة الغلجائي الذين كان قد فرض لهم الانكليز راتباً ثم قطعه عنهم حكمدار الانكليز فى الهند ضناً وشحاً * فاشتدّت الفتنة وعظم الخطب فبادر الانكليز بارسال (مكننكتن) و(منتس) مع جماعة من العساكر لتدارك الأمر وكف شر هذه الفتنة * ولما زايلوا كابل وصاروا على مسيرة ثلاثة فراسخ منها خرجت عليهم شرذمة من طائفة

الغلجائي وصادروهم وقتلوا منهم نفراً فوقف الجيش عن المسير ثم لحق بهم الجنرال سيل مع أفواجٍ من العساكر بقصد مبارزة محمد أكبر خان ولكن كانوا في غاية الرهبة والخوف من إغارة الأفغانيين * وفى ليلة عشرين من رجب بعثوا يطلبون مدداً من العساكر أيضاً فوصلهم المدد وقصدوا مكمن محمد أكبر خان ووقعت بينهم وبين الأفغانيين فى أثناء الطريق محاربة استمرت يومين ولم يظفروا به * وفى خلال ذلك كان شاه شجاع قد سجن شخصاً اسمه حمزه خان الغلجائي فهاجت خواطر الغلجائيين وثار منهم ثلاثة آلاف وسدّوا طرق كابل من سائر أطرافها * فخرج ميجر كريفس خارج المدينة ووقع القتال بينه وبينهم وقتل جماعة من أكابر الانكليز

وفى غرّة شعبان هاج أهل المدينة واغلقوا حوانيتهم وهجموا على منزل اسكندر برنس وفتكوا به وصلبوه على قارعة الطريق ثم انصبوا على خزينة الحكومة فنهبوها وكانت الخزينة إذ ذاك تحت نظارة جانسن *

ولما سمع شاه شجاع وهو فى (بالاحصار) بما كان من الأمر أرسل إبنه فى رجال من الجند ومعهم مدفعان لكن لم يجدِ ذلك فى إطفاء نار الفتنة نفعاً

ثم هجم الأفغانيون فى الرابع من شعبان فاستولوا على (باغشاه) وقلعة (محمد شريف) ووضعوا حامية لقطع المواصلة بين القلعة التى احتكر فيها الانكليز ذخائرهم وبين إستحكاماتهم وكانت عبارة عن رصيف يبلغ الف ذراع طولاً وستمائة ذراع عرضاً * وعمدوا بعد ذلك الى قلعتهم المذكورة فحاصروها وكان بها (انسن وارن) مع فوج من الهنود وطائفة من الحرس لكنهم لم يستطيعوا فك حصار الأفغانيين عنها حتى رضي الانكليز بترك القلعة لهم وانما أرسلوا (كابتان سوين) مع طائفة من العساكر لاستخلاص انسن وارن وإنقاذه من أيديهم* لكن الأفغانيين أوقعوا بهم إيقاعاً فقتل كابتان سوين وكثير ممن كانوا معه ورجع الباقي منهزمين الى المعسكر* ثم أرسلوا (انسن كارون) مع جماعة أيضاً من العساكر

لأنقاذه فلاقوا مالاقاه الجيش الأول

ثم ذهب (كابتان بويد) عند سردار عموم العساكر وقال « لو سلمت القلعة الى العدو فأنه فضلاً عن أننا نخسر نحواً من خمسين ألف جنيهاً قيمة مافيها من الذخائر لم يبق لدينا من القوت مايكفينا سوى يومين فماذا نصنع وليس بالسهل جلب الأقوات والذخائر لبعد الشقة » * ولما وعى السردار ماقاله له كابتان بويد أرسل الى انسن وارن ليثبته ويأمره بأن يقاوم مااستطاع وأن يحذر من تسليم القلعة ويعده بأنه سيدركه عما قليل بالمدد * فأجابه انسن وارن بأنه « إذا لم يدركنا المدد هذه الليلة فلا نجاة ولا مخلص لنا من يد العدو إذ أخذ ينتقب علينا أحدأ براج القلعة حتى اشتد الخوف وتمكنت الرهبة من قلوب رجالنا وحتى أن بعض الحامية ألقى بنفسه من القلعة رهبةً ووجلاً فان لم تدركونا الليلة بتنا فى قبضة عدونا » * ولما وصل هذا الجواب جمع السردار رؤساء الجيوش وأمرائه وتفاوض معهم مستمداً من رئيسهم حيلة يتوصل بها الى

تخليص القلعة ونجاة حاميتها من بلاء العدو * فأجمعوا أمرهم على ارسال المدد فى ليلتهم إعتماداً منهم على أن الأفغانيين يجهلون وجوب الحراسة ولزوم التيقظ والأنتباه لكن رأوا من الأحتياط أن يبثوا الجواسيس أولاً ليأتوهم بحقيقة أمرهم * فارسلوا كابتان جان فلم يلبث أن غدا عليهم بما آيسهم من إمكان ايصال المدد إذ رأى الأفغانيين على يقظة يتشاورون فى أمر الاستيلاء على القلعة فى تلك الليلة فأضربوا عن إرسال المدد * وعند الفجر زحف الأفغانيون على القلعة ببأس وإقدام شديدين وأحرقوا بابها فخرجت حاميتها من الباب الآخر وهربوا الى معسكرهم * فاستشاط الانكليز من ذلك غيظاً ودعتهم خشية العار ومخافة الجوع الى أن يبعثوا بجيش الى قلعة محمد شريف ليستولي عليها تحت قيادة ميجر * فأخذ ذلك القائد حين ما شرع الجيش فى المسير يروغ حيناً ويتوارى حيناً آخر * فلما رأى الانكليز منه ذلك أجلوا مسيره وفى الغد جهزوا جيشاً تحت قيادة

(كريفتس) وسار فاستولى على قلعة محمد شريف وعلى نصف باغشاه بعد حرب قتل فيها عبد الله خان وقاتله كان كابتان اندرس * ثم داخل الأفغانيين الحماسة وأظهروا البسالة حتى استردوا ما أخذ من باغشاه وفتكوا بالانكليز وقتلوا منهم عدداً كثيراً * وفي اليوم الثامن من شعبان انضم « قزل باش » كابل الى الأفغانيين وأخذوا في ثغر قلعة محمد شريف فغلب الخوف على الانكليز واستولى عليهم من الطيش والدهشة ما لا مزيد عليه * وفي خلال ذلك مرض سردار عموم العساكر الانكليزية فرأى الوزير المختار الانكليزي (أي الحاكم العمومي أو القنصل) وكان اسمه « سيروليم » أن يقيم مقام هذا السردار أحداً سواه * فاستدعى لذلك « بريك دير مشيل تان » فأجابه وجمع من كان في بالاحصار من عساكر الانكليز وعساكر شاه شجاع وقادهم الى الاستحكامات * وعند وصوله فبدلاً من أن يشجعهم ويثبت أقدامهم قام في المعسكر وقال « اعلموا أن لا طاقة لنا على

مقاومة الأفغانيين ولو ثبتنا لاستأصلونا عن آخرنا فالأجدر بنا أن نتجلى عن هذا المكان ونلحق بجلال آباد ونتحصن فيها » * فاجابه السردار قائلاً « انا لن نبرح من هاهنا بل لانزال ندافع عن أنفسنا ما استطعنا فان خروجنا ومقابلتنا بالأفغانيين بالبادية ماهو الا أن نلقي بأنفسنا فى افواه الآساد » فزاد اختلاف الكلمة بينهم خوفهم وضاعف وجلهم * وكان من أمر الأفغانيين فى هذه الأثناء ان استولوا على المرتفعات المشرفة على المعسكر شرقاً وغرباً وعلى برج (ريكاباش) وأخذوا يمطرون على الانكليز كرّات المدافع ويصبون على رجالهم رصاص البنادق * فبادر الوزير المختار الى استنهاض (شلتان) وأمره فى الحال بالحملة على قلعة (ريكاباش) فتأهبت العساكر وهمت بالخروج من الجانب الشرقي فضلّ (كبتان بلو) الطريق بمن قادهم وخرج من جانب آخر ففاجأه الأفغانيون فارتعدت فرائصه ونزل به ما تمنى الموت دون لقياه فأوقعوا به وقتلوا من رجاله مقتلة

عظيمة * فهمّ « كولونيل مكرلان » و « ليفتنانت برت » بأفواجهما لاستنجاد (كابتان بلو) فحال الافغانيون بينهما وبينه ووضعوا السيف فى العسكرين جميعاً * وإذ رأى شلتان هذا الهول دبت فيه الحمية فأمر الجيش عموماً بالحملة على الأفغانيين فهاجموهم دفعة فصدّوا ثم عاودوا الهجوم فردّوا ثم استأنفوا الهجوم وفى هذه الكرّة لم يبق منهم فى قيد الحياة الا (ليفتنانت برت) ورجل آخر ولم تخسر الأفغانيون فى تلك الواقعة الهائلة الا ثلاثين فارساً * ووفق الانكليز بخلال كرّهم وفرّهم فى هذه الواقعة ان استولوا على قلعتي (ريكاباش) و (ذى الفقار) وأصابوا فيهما مقداراً من الحنطة فأخذوا ان يجمعوه ويذهبوا به الى معسكرهم * ولكن لم يلبثوا ان اقبل الليل وهاجمهم فيه الأفغانيون وثغروا هاتين القلعتين عليهم وتمّ لهم استردادهما ليلاً وأجلوهم عنها منهزمين

وفى الثالث عشر من شعبان قامت طائفة من الأفاغنة ووضعت ثلاث مدافع على رابيةٍ مشرفة على

المعسكر الانكليزي من الجانب الغربي وأطلقوها عليهم * فالوزير المختار أمر (شلتان) أن يخرج اليهم (ميجار شتوين) فخرج في فريقٍ من العساكر حتى صار على مسافة اثني عشر ذراعاً من مشاة الأفغان فوقع القتال بينهما وثبت الافغان يومهما وأبلو بلاءًا حسناً * لكن لما حمى الوطيس عاد فرسانهم فاضطرت مشاتهم الى الرجوع فاستولى الأنكليز على الرابية وكسروا عجلة أحد المدافع الثلاث وأخذوا الأثنين الباقيين الى المعسكر فارتاحت لذلك خواطر الأنكليز بعض الارتياح وكاد أن يعاودهم بعض ما فقدوا من النشاط لولا أن جاءهم من قِبَل الجنرال (سيل) الذى كان مقيماً في جلال آباد خبر بان ليس في طاقته أن يمدّهم قبل مضيّ فصل الشتاء فقنطوا * لكن رأوا حرصاً على الحياة أن يتحيّلوا لأخذ إستحكام محمد خان إذ كان هو المانع من وصول الذخائر اليهم من بالاحصار فأقعدهم عنه (استورث) المهندس بقوله «لا طاقة لعساكر الانكليز على المقاومة بعدُ» فعدلوا الى رأيٍ آخر وهو

ان يستولوا على قرية (بجارو) التى كانوا يتداركون منها أقواتهم * فارسلوا (ميجار شتوين) مع عدد وافر من العساكر فوجد الأفغانيين قد سبقوهم الى الاستيلاء عليها فاقتتلوا هناك حثيثاً وكانت الدائرة على الانكليز فنكصوا على أعقابهم خائبين وقد جرح كثير من ضباطهم

وفى الثاني والعشرين من شعبان قدم محمد أكبر خان من باميان الى كابل وتواطأ مع الأفاغنة على كلمة واحدة * وفى ذلك اليوم بعينه أجمع الانكليز رأياً على الاستيلاء على قلعة بجارو فأمر الوزير المختار شلتان بالمسير اليها فسار هو وميجار شتوين وميجار قارش فى افواج من العساكر حتى بلغوا محلاً مشرفاً على تلك القلعة وكان معهم مدفع واحد ليس غير ولم يكن فى القلعة سوى أربعين رجلا * ثم ان شلتان ندب ميجارشتوين وميجار قارش الى الهجوم على القلعة فسارا فى طريق غير مسلوك فأوقع بهم هناك حتى قتل منهم جماعة وجرح ميجارشتوين * وإذ رأى شلتان تلك النازلة أمر

ميجار قارش ومئة من المهندسين أن يسارعوا الى وضع استحكام يقيهم من بلاء العدو فقبل أن يتموا وضعه أبصروا عشرة آلاف رجل من أهل كابل على جبلٍ مشرفٍ عليهم بحيث يصلهم رصاصهم * ففي الحال أمر «كولونيل اوليور» أن تتأهب تلك العساكر وتنتظم على شكل قلعةٍ وتصطف الخيالة من خلفهم ويهجم الجميع بهذا الأنتظام على الأفغانيين المذكورين * فعاجلتهم خيالة الأفاغنة بالهجوم على ميمنتهم وحاصروا (ليفتيستت واكر) وجُرح من الأفغانيين أحد عظمائهم ثم عمموا الهجوم عليهم من ثلاثة جوانب فضايقوهم وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً فطلبوا الى الفرار سبيلاً إذ أن خيالتهم قد جبُنوا عن الهجوم حينما أمرهم به القائد ورجعوا القهقرى فاستولى الأفغانيون على مدفعهم وذخائرهم واختاروا العودَ الى البلد نظراً لكون أحد عظمائهم المذكور أصبح جريحاً * فاختلس الانكليز هذه الفرصة وأسرعوا الى الجبل فاسترجعوا مدفعهم وأطلقوه على ظهور الأفغانيين

فانقلبوا عليهم وهاجموا مهاجمة الغيظ والحنق فتبدّد شمل الانكليز وتفرّقوا وولّى مَن بقي منهم الادبار فرداً فرداً وما برح الأفغانيون يطاردونهم حتى أوصلوهم معسكرهم العمومي ولم يصدّهم عنهم الآ جدران الأستحكام * ولما اشتدّ على الانكليز الكرب وعظم بهم الخطب جنحوا للسلم فأرسل الوزير المختار الى الأفغانيين رسولاً يدعوهم مستعطفاً الى المسالمة فقالوا « نجيبكم على شرط أن لا يلبث في بلادنا من جنس الأنكليز ولا واحد » ثم اقترحوا عليهم أيضاً أموراً لم يجد الوزير المختار سبيلاً الى قبولها وكبر عليه الرضاء بها * فقام من مجلس رسُل الأفغانيين وهو يقول « ان يوم القيامة لقريبٌ وسيجمعنا الميعاد ويتبين الظالم من المظلوم ويتميز الحق من الباطل » ثم بعد ذلك وقعت بينهم مناوشاتٌ استردّ الأفغانيون فيها قلعة محمد شريف في السادس من رمضان * فضاقت الانكليز ذرعاً ورأت أن لا محيص من المسالمة طوعاً أو كرهاً فكتب الوزير المختار سجلاً ينطوي على معاهدةٍ

بينه وبين الأفغان ووقّع عليه هو و (شيلتان) و (دنيكتل) و (جميرنر)

وفي الحادي عشر من رمضان خرج هذا الوزير مع (كابتان لارنس) و (ترذر) و (مكنيزي) وعدد من رجاله الى قرب جبل (سياه سنك) وعقد هنالك مجلساً مع جماعة من أكابر الأفغانيين ثم قام فيهم خطيباً وقال مستميلاً عواطفهم اليه « إنا معشر الانكليز طالما عزّزنا الأمير دوست محمد خان ورفعنا شأنه وأكرمنا مثواه في كل مكان » ثم أبرز السجل وعرضه على المجلس وكان مضمونه : « على الانكليز أن تخلي قندهار وقزنه وكابل وجلال آباد وسائر البلاد الأفغانية على شرط أن يعطيها الأفغانيون رجلاً من أكابرهم رهناً حتى تخرج من تلك البلاد بسلام واذا وصلت العساكر الانكليزية الى الهند بادروا بارسال الأمير دوست محمد خان * وعلى الأفغانيين أن يرتبوا للشاه شجاع (لك روبية) يأخذها سنوياً أينما كان سواء أقام في أفغانستان أو خرج منها * وعلى الانكليز

ان لا تدخل عساكرهم فى بلاد الأفغان الا برضى أهلها »

ولما رُفع هذا السجل الى محمد أكبر خان فبعد الجرح والتعديل فيه قرّر أنه يجب على الانكليز أن تخلي سائر البلاد والقلاع فى مدّة ثلاثة أيام وهو يجري عليهم فيها الميرة والمؤونة فشرعت الانكليز على عجل بنقل العساكر من بالاحصار وإخلاء القلاع مع ذلّ ومسكنة لا مزيد عليهما * على أن محمداً أكبر خان لم يوف بوعده متعللاً بأنه لا تطيب نفسه بأجراء المؤونة عليهم مالم يخلوا القلاع بالمرة

وفى الثامن عشر من رمضان نزل الثلج عليهم فتضاعفت مصيبتهم فاضطروا لاخلاء قزنه واستحضار عساكرهم

وفى العشرين منه عقد الوزير المختار مجلساً مع الأفغانيين لحسم الأمر فطلبوا منه أن يعطيهم نصف مامع العساكر الانكليزية من المدافع والجبخانه فدان لطلبهم رغماً ورضي به عجزاً بل زاده أنه سلمهم (كابتان كيلي) و (كابتان ابري) رهناً على وفائه بما طلب منه

وفى الثاني والعشرين منه جاء (مستر اسكنير)

الذى كان أسيراً عند محمد أكبر خان الى الوزير المختار وأخبره أن محمد أكبر خان يبتغي منه أمراً عسيراً فارتبك وانعقد لسانه ثم قال « وهو أنه يريد أن تسير اليه أنت ووجوه ضباط العساكر ليفصم معكم الأمر مرّة واحدة » فلما وعى ماسمع لم يجد بدًّا من الطاعة لكنه خشي عاقبة الغدر فنادى فى العساكر بالتأهب والاستعداد خارج الاستحكام ثم سار هو ورؤساء العساكر الى تلّ حيث ينتظرون قدوم محمد أكبر خان فلم يلبث ان حضر مع بعض من خوانين الأفغان وأخذ يفاوض الوزير المختار وكل من الخوانين كان يفاوض رئيساً ممن معه من ضباط العساكر * ثم أخذت خيالة الأفغان تتوارد عليهم فرادى فرادى ومثنى مثنى وعما قليل صرخ محمد أكبر خان على قومه بأن يبطش كلّ منهم بمن يفاوضه ففعلوا * أما الوزير المختار فقد قطعت يده وجرّ وهو يستجير ويستغيث ويصيح « واويلاه واغوثاه » ثم جزّوا رأسه وطافوا به فى أزقة كابل وصلبوا (تروار) على قارعة طريقها * وأما

(لفتستت ابري) وهو الذي روى خبر هذه الواقعة وأبان فيما كتب سخافة عقول الانكليز وجبن قلوب أمرائها وضعف آرائهم فقد وقع أسيراً في يد محيي الدين الأفغاني ثم هو مثّله بين يدي محمد أكبر فنظر اليه بعين يتقاطر منها الغضب وخاطبه بقوله « أكنتم طامعين أيها الانكليز في بلادنا ؛ أرأيتم ما حلّ بكم جزاءً عقاباً ؛ لكني عفوت عنك فليس لي بقتلك حاجة » ثم وكل أمر حفظه الى ملاّ مؤمن

ثم أن (ميجر بتنجر) الذي خلف الوزير المختار المسمى (سير وليم) همّ بافتتاح أمر الصلح ثانياً مع الأفغانيين فقالوا « نجيبك على شروط » * الأول أن تترك العساكر لنا مدافعهم ولا يبق لهم سوى ستة * الثاني أن تسلم لنا الأموال والأدوات والأثقال المتعلقة بالخزينة * الثالث أن تعطينا جماعة من كبراء الانكليز بأولادهم وزوجاتهم رهناً * الرابع أن توفي بما كان الوزير المختار وعدنا به من إعطائنا أربعة عشر لكاً من الروبية * فلما سمع هذه الشروط ورأى أن المقام مقام لا ترويج فيه

الحيل الثعلبية التى تعوّدها الانكليز بل هو مقام الطعن والضرب ومجال السيف والرّمح لم يجد له محيصاً من قبولها وإن كانت شاقة ولا ترضى بها نفس حرّة *نعم ان الجنرال (الفستون) أراد أن يظهر الشمم والحماسة فانتفخ انتفاخ الهرّ لكن انتفاخه لم يؤثر فى دم الانكليز من الحرارة أثراً بل تواطأ أمراء العساكر فى التاسع والعشرين من رمضان على إعطاء (كابتان درمند) و (كابتان وانسن) و (كابتان واربرتن) و (كابتان دب) مع نسائهم وأولادهم رهناً ثم جعلوا المجروحين فى منزل أحد الأفغانيين وتركوا معهم بعض الأطباء وسلموا الأفغانيين خمسة من المدافع السلطانية

وفى اليوم السادس من شوّال تجهزوا للرحيل وساروا بتسعة مدافع واثني عشر الف جمل تحملهم رجالاً ونساء وأطفالاً وفى خلفهم العساكر المشاة يسيرون على أرجلهم فوصلوا الى نهر يلزمهم إجتيازه وليس عليه سوى قنطرة فبعد أهوال وأوحال وموت كثير منهم إجتازوه

وقطعوا مسافة ما الى أن وصلوا الى (بكران) * على أن الأفغانيين لم يتركوهم وبلائهم بل اقتفوا أثرهم كالذئاب الجائعة ينهبونهم ويسلبونهم حتى أخذوا منهم مدفعاً آخر وقدّموه الى محمد أكبر خان * ثم ان محمد أكبر خان عاد وشرط عليهم أن يسلموه ستة أشخاص أيضاً من كبرائهم فأجابوه وعاهدوه على أن لا يطلقوا بندقية واحدة ولا يشهروا سلاحاً على أفغانيّ بشرط أن لا يتعرّضوا اليهم بالأيذاء ولا الى أقواتهم بالنهب والسلب ووصلوا بعد زمن قصير مصحوبين بهذه الذلة والمسكنة الى (بث خاك)

وفى اليوم الثامن من شوّال أعاد الأفغانيون إطلاق الرصاص عليهم فهمّ (ميجر شتوين) بأن يدافع فلم يقوَ * ثم طلب محمد أكبر خان منهم جماعة أُخرى رهناً فوق من أخذهم فسلموا حتى سلموا ووصلوا الى الطريق الموصل الى (خورد كابل) وهو عبارة عن شعب يمتدّ بضعة أميال طولاً والمسلك الذى يجب إجتيازه هناك واقع فى سفح جبل يكتنفه من أحد جانبيه نهرٌ

ينحط عنه بستين ذراعاً وقمة الجبل من الجانب الآخر * فأدركهم هناك الأفغانيون وحاصروهم وأخذوا منهم مدفعاً ولم يصلوا الى قرية خورد كابل حتى قتلوا منهم ثلاثة آلاف شخص وسلبوا جلّ ذخائرهم

وفى اليوم التاسع من شوّال الذى كانت الأحياء فيه تحسد الأموات جاءهم وهم يريدون الرحيل خبر من عند محمد أكبر خان وهو أنه التزم صيانة النساء والأطفال والجرحى فداخلهم بعض الأطمئنان من هذا الخبر

وفى اليوم العاشر منه فاجأهم الأفغانيون وهم على أهبة المسير وأحاطوا بهم فسدّوا عليهم المسالك ووضعوا فيهم السيف ولم تستطع الانكليز حراكاً بل كانت عساكرهم الهندية تلقي بأسلحتها وتطلب الفرار ولكن لا تجد سبيلاً ولا منقذاً من دائرة المنايا * ولم ينته بهم السير الى (قبر جبار) الاّ وقد إستأصلهم السيف وسلبت أمتعتهم وأموالهم وذخائرهم ولم يبق مع من بقي منهم سوى مدفع واحد وقد غص معبر (هفت كتال) بجثث القتلى

وبالجملة فقد قتل من عساكرهم المنتظمة خاصة من يوم خروجهم الى يوم وصولهم الى (كترسنك) اثني عشر الفاً * أما عدد من قتل من العساكر غير المنتظمة فعلمه عند الله * وفى ليلة بلوغهم الى (كترسنك) أُسرت جماعة منهم وسلب المدفع الذى كان باقياً معهم

وفى اليوم الحادي عشر منه خرجوا من (كترسنك) الى (جكدلي) فوصلوها وقت العصر وإذ ذاك قاموا على تل واصطفوا عليه وأظهروا الجلادة إرهاباً للأفغانيين فغضب من ذلك الأفغانيون وأشرفوا على مرتفعات هناك وأطلقوا عليهم المدافع والبنادق * ثم ان محمد أكبر خان طلب (اسكينز) وقال له « لابدّ لكم أن تعطوني أيضاً شيلتان وجان سن رهناً » وفى أثناء المكالمة أُطلقت على اسكينز رصاصة من حيث لا يعلم فمات * فلما رأى الانكليز ذلك بادروا بالمسير قاصدين (جلال آباد) فابتدرهم الأفغانيون بالسيوف من سائر الأطراف وكان عدد القتلى فى هذا الموقع أكثر مما هو فى (خورد كابل)

وفى صبيحة الثالث عشر من شوّال رأى الأفغانيون أن قد قلّ عدد رجال الانكليز فطافوا بهم فقتلوا بعضاً وأسروا بعضاً آخر ولم ينجُ من يد الأفغان الاّ (دكتر بريدون) ففرّ ولحق بجلال آباد وأخبر رأساً الانكليز بالواقعة * (كأن الأفغانيين علموا ان لوث حيل المحتال ودرن مكره وأوساخ خداعه لا يطهرها الاّ دمه المهراق وان عين الطامعين لا يملأها الاّ تراب القبور فأراقوا دماء الانكليز وجعلوا شعاب جبالهم قبوراً لقتلاهم وأذاقوهم مرارة نقض العهود)

وعاد محمد أكبر خان بالأسراء من الضباط والنساء والأطفال والجرحى الى كابل وهذا ما انتهى اليه حال جيش كابل الانكليزي * واما الجيش الانكليزي الذى كان فى مدينة قزنه فقد أُصيب بما أُصيب به الجيش الأول فهلك بعضه من الجوع والبرد وقتل بعضه بحدّ سيف الأفغانيين وأُسر الباقي ومكثوا فى الأسر شهوراً ثم أُرسلوا الى كابل فاستقبلهم محمد أكبر خان وأكرم

مثواهم واجتمعوا هناك بميجر بتنجر * وبعد هذه الواقعة ردّ محمد أكبر خان للضباط سيوفهم ومنحهم بعضاً من الدنانير وكان ينعطف على النساء ويتلطف بالأولاد * ثم اتفق انه قتل (شجاع الدولة خان الباركزاي) شاه شجاعاً فحصل الهرج والمرج بين الأفغانيين وتحزّبوا أحزاباً وتفرّقت كلمتهم وتنازعوا الملك وتقاسمه أمراؤهم فعسكر محمد أكبر خان خارج المدينة وانضمّ اليه (فتى جنك) ابن شاه شجاع

وفى أثناء هذه الفتن قدم الجيش الانكليزي الذى كان متحصناً زمن الشتاء فى قندهار الى كابل وانضمّ اليه بعضٌ من المدد ووقع بينه وبين محمد أكبر خان بعض مناوشات وآل الأمر بعدها الى المسالمة وأطلق سبيل أسرى الانكليز وتعهد الجنرال (بولوك) بأرسال الأمير دوست محمد خان وعائلته الى أفغان * ولما رأت العساكر الانكليزية تفرّق كلمة الأفغانيين وتشتتهم وعدم وجود مَن يضارعهم فى المقاومة والمغالبة تطاولوا على

البلاد وأحرقوا « جهارجته » (السوق الشهيرة الموجودة من عهد اورنك زيب التيموري سلطان الهند وكانت من أبدع الأبنية وفيها عقود متتالية يبلغ طولها ستمائة قدم وعرضها ثلاثين قدماً وكان على جدرانها النقوش المزخرفة والتصاوير الأنيقة وقد علّق الأفغانيون فيها جثة الوزير المختار سيروليم) وزحفوا على قرية استالف وقتلوا مَن بها من الرجال والنساء صغيراً وكبيراً صحيحاً وجريحاً واعتصم محمد أكبر خان وأهل مدينة كابل بالجبال وقتئذٍ * ولما انتقمت العساكر الأنكليزية من الأفغانيين على زعمهم قفلوا الى الهند مسرعين فراراً مما عساه أن ينزل بهم * (وبالجملة ان طمع شاه شجاع في السلطنة قد ساقه الى البحث عن حتفه بظلفه وان حرص انكلترا على تملك بلاد الأفغان وشغفها بها أوجب أن تكون مساكنها فيها قبور أجسامها وان صيانة الأفغانيين لجرحى الانكليز ونسائهم وأولادهم وأن قتل الانكليز لنساء قرية استالف وأولادها ومرضاها قد

أبان للعالَم السجايا الشريفة الغير المكتسبة التى لم يدنسها طول المكث فى الجبال والأودية والطبائع الخسيسة التى لم تهذّبها العلوم والمعارف ولم يطهرها زلال التربية) * ثم أطلقت الانكليز الأمير دوست محمد خان من الأسر فرجع الى كابل واستولى عليها وعلى جلال آباد وما يجاورها من البلاد * وأما كهندل خان أخو دوست محمد خان الذى بينّا سابقاً أنه قد التجأ مع إخوته الى شاه إيران فانه لما سمع أن العساكر الانكليزية قد أخلت مدينة قندهار جهز جيشاً صغيراً بأعانة الشاه وسار به الى قندهار وبعد مناوشاتٍ يسيرة وقعت بينه وبين بعضٍ من السدوزائية دخلها وتمّ نفوذه فى أقطارها * وقد وقع بينه وبين الأمير دوست محمد خان محاربات كانت الغلبة فيها للأمير وساق أيضاً عساكره الى هرات ولكن رجع خائباً

وبعد بضع سنين من أمارة الأمير هجم رنجيت سنك بعساكره على مدينة بيشاور وكانت الحرب بينهما

سجالاً * ولما كان زمن المحاربة وقتل من الطرفين عددٌ كثيرٌ ورأت الانكليز أن دخول بيشاور التي هي مفتاح بنجاب تحت سلطة الأفغانيين يوجب إستفحال أمر الأمير ويورث الخلل فى الممالك الهندية الانكليزية أسرعت الى المصالحة بينهما على شرط أن تكون تلك المدينة بيد رنجيت سنك الوثني * فكأن أمة الانكليز بفعلها هذا لم تقصد سد طرق الخلل عن بلادها فقط بل أرادت أن تهيئ سبل استيلائها عليها علماً منها بأن الأمارة السيكية التى شكلها رنجيت سنك واهية الأساس وقد تمّ لها ما أرادت حيث استولت عليها بعد المصالحة بزمن يسير * واثر هذه الوقائع اتفق موت كهندل خان المذكور ووقعت المنازعة بين إخوته وأبنائه فى الملك وآل الأمر الى المقاتلة وسفك الدماء ووقع الهرج والمرج فى المدينة فاتفقوا جميعاً على جعل دوست محمد خان حكماً بينهم * فسار بعسكره الى قندهار حين بلغه ذلك واستولى عليها وعين لكل من المحكمين مرتباً شهرياً سداً لشرههم

وكفاً لشرّهم وتمت له بذلك السلطة فى غالب البلاد الأفغانية * وكان قد أرسل إبنه (محمد أكرم) الى الأقطار البلخية التى نبذ أهلها طاعة الأفغانيين عند إستيلاء الانكليز على البلاد واستقلوا بأمرهم فأدخلهم تحت الطاعة ولم يبق تحت سلطة غيره من المدن الأفغانية الأصلية الاّ مدينة هرات التى بيّنا سابقاً كونها فى قبضة كامران ذاك البطل الذى قاوم العساكر الأيرانيين بغاية الثبات والحزم عشرين شهراً مع قلة عدده وعدده * ثم غلبت عليه الشهوة واستولى عليه الهوى وانهمك فى السكر حتى نفرت منه قلوب الناس ولعب به وزيره (يار محمد خان البامي زائي) وخنقه فى قريةٍ خارج المدينة واستولى على الملك وانقرض بموت هذا سلطة العائلة السدوزائية من البلاد الأفغانية (وبالجملة ان ما اكتسبه احمد شاه السدوزائي من الممالك الواسعة والسلطة التامة بسبب الشجاعة والتدبير والعدالة والأقتصاد فى المعيشة قد أضاعه أبناؤه وأحفاده بالجبن والسفه والجور والترف والأنهماك فى

الشهوات) * وكان هذا الوزير على الدوام يرسل الى شاه إيران ويحتمى بحمايته صيانة لبلاده من سلطة سائر الأمراء الأفغانيين * وخلفه بعد موته إبنه (صيد محمد خان) باعانة الشاه وكان هذا الخلف سفيهاً سيء الخلق قسيّ القلب ظالماً جائراً * فامتلأت قلوب الاهالي منه غيظاً وأثاروا الفتنة عليه فطلبوا (شاه زاده يوسف السدوزائي) الذى كان وقتئذٍ فى مدينة مشهد والتمسوا من الشاه أن يجهزه ويرسله ففعل ودخل مدينة هرات بجيشٍ من الأيرانيين بلا ممانع وأهلك صيد محمد خان

ثم وقع فى هرات بعض من الفتن فاغتنم ناصر الدين شاه فرصة الأستيلاء عليها * فأرسل جيشاً جرّاراً سنة ١٢٧٤ تحت رئاسة سلطان مراد ميرزا اليها وبعد محاصرتها أياماً تمّ له فتحها ودخل قطر هرات تحت حكم إيران * فاستشاطت الانكليز من هذا الفتح غيظاً علماً منها ان مدينة هرات مفتاح الأقطار الهندية وبابها فأرسلت مراكبها بدون مهلةٍ الى خليج فارس واستولت على

بندر (أبو اشهر) وجزيرة (خارق) وبلدة (محمده) إرهاباً للشاه وسداً للخلل المزمع وقوعه وتسكيناً للثورة التي فشت في الهند عند ما شاع فيها توجه العساكر الأيرانية نحو البلاد الأفغانية * وبعد مضي سنة من هذه الواقعة وقعت المصالحة بينهما وتركت الانكليز الفرض الأيرانية على شرط أن يخصص الشاه رجلاً أفغانياً ليكون حاكماً على هرات ويسحب عساكره منها * فعين الشاه سلطان احمد خان ابن عم الأمير وصهره والياً على هرات باستصواب الانكليز وشرط عليه أن يضرب السكة ويقراء الخطبة بأسمه * ومع ذلك ماسكن روع الانكليز بل أغرت الأمير دوست محمد خان بعد بضع سنين بأخذ مدينة هرات وتعهدت بأن تعطي له ولمن يخلفه مرتباً معلوماً سنوياً كافياً لتجنيد العساكر وتحصين القلاع لتكون الأمارة الأفغانية سداً منيعاً بين الهند وبين الممالك الروسية في آسيا الوسطى وإيران * فجند الأمير جيشاً وسار به الى هرات وحاصرها زمناً

طويلا وكانت عساكر الطرفين بين مهاجمة ومدافعة وقد اتفق موت سلطان أحمد داخل القلعة وبعد موته بزمن يسير مات الأمير أيضاً في معسكره * ثم أمر رؤساء العساكر المحاصرين بالهجوم وبعد هجمات متعدّدة سنة ١٢٨٠ فتحت عنوة وكان الأمير دوست محمد خان هذا عاقلاً ذا دهاء لين العريكة غير مائل الى الظلم والجور وقد استمال بحسن سلوكه قلوب إخوته حتى خضعوا له مع أن منهم مَن كان أكبر منه سناً وأسس بحكمته وتدبيره ملكاً * وكان له أبناء متعدّدة وقد جعل أرشدهم وأعقلهم محمد أكبر خان الذي خلص البلاد الأفغانية من مخالب طمع الانكليز وليّ العهد * وحيث توفي في زمن حياته ولّى شقيقه شير علي خان تلك الرتبة (ولقد راعى الأمير حقوق محمد أكبر الذي له منة عليه خصوصاً وعلى الأفغانيين عموماً بأيثار شقيقه غير انه لم يراع حقوق سائر الناس ولم يلاحظ مايترتب على ذلك من المضار فان بعض إخوة شير علي خان كانوا أكبر منه سناً فلم يرضوا

بالخضوع له فأثاروا الفتن ولزم منه إراقة الدماء وخراب البلاد ونهب الأموال) * وقد جعل على كل ولاية من ولايات الأفغان واحداً من أبنائه (ولقد أخطأ الأمير خطاء آخر بتولية أولاده على البلاد لأن البلاد الأفغانية ليست بلاداً قانونية فكأنه بفعله هذا قد مكنهم من الفتن والعصيان)

ولما توفي الأمير حين محاصرته لهرات كما ذكرنا كان فى المعسكر من أبنائه شير علي خان وليّ العهد ومحمد أعظم خان ومحمد أمين خان ومحمد أسلم خان * وكان لشير علي وزير خائن يسمى بمحمد رفيق من طائفة الغلجائي قد أشار عليه بالقبض على إخوته قائلاً « لا تتمّ لك السلطة ماداموا ولاة مطلقي التصرّف خصوصاً الذين هم أكبر منك سناً » * فشاع هذا الخبر وبلغ مسامع مَن كان منهم فى المعسكر فهرب كل منهم ليلاً وبادر الى البلاد التي كان والياً عليها فى زمن أبيه

وأما شير علي خان فبعد ما علم بهروبهم عجل فى

تنظيم مدينة هرات وجعل ابنه محمد يعقوب خان والياً عليها وأخذ طريق بلخ من دون أن يتعرّض للبلاد التى استولى عليها إخوته الذين هربوا من المعسكر أو يظهر لهم غضباً قصد أن يخدع أخاه الأكبر محمد أفضل خان الذى كان ذا وجاهة عند الناس وكانت قوته العسكرية أشدّ من سائر الأخوة ويقبض عليه * فلما وصل الى حدود بلخ أرسل رقيماً يذكر فيه مخاطباً إياه « انك أنت الأخ الأكبر فيجب عليك أن تجتهد فى إصلاح البلاد ورفع الفساد وجمع كلمة الأخوة وأما أنا فأتعهد أن لا أنبذ أمرك وأن لا أخالف نصائحك وأن لا أخرج من ربقة طاعتك » * ولما اطلع محمد أفضل على مضمون ذلك الرقيم انخدع وسار بنفسه اليه فلما تمكن منه شير علي قبض عليه وهرب ابنه عبد الرحمن خان وقتئذٍ الى بخارى ودخلت ولاية بلخ تحت قبضته فجعل أحد إخوته المسمى بفيض محمد خان والياً عليها ورجع الى كابل * ثم جند عسكراً وأرسله الى كرم تحت رئاسة وزيره محمد رفيق لمحاربة محمد أعظم فانهزم محمد

اعظم شقيق محمد أفضل من أول واقعة وفرّ الى الهند

وبعد أن فرغ من أمرهما جعل ابنه ابراهيم خان الضعيف الرأي حاكماً على مدينة كابل وذهب بنفسه الى قندهار لأن يقبض على شقيقه محمد أمين خان * وعند وصوله الى كلات الغلجائي استقبله هناك شقيقه بعساكره فوقعت مناضلة بينهما قتل فيها ابنه محمد علي وشقيقه محمد امين المذكور * وأثر هذه الواقعة قد استولت الوساوس على شير علي وغلبت عليه الهموم والغموم فترك أشغال الحكومة وإدارة العساكر وانزوى فى مدينة قندهار * ولما بلغ مسامع عبد الرحمن خان تغيّر حاله وانزاود تحرّك من بخارى الى البلاد البلخية واستولى عليها بعد مناوشات جزئية باعانة فيض محمد خان * وكان محمد أعظم خان المذكور الذى ترك البلاد الهندية لسوء معاملة الانكليز قد انضمّ الى عبد الرحمن فى بلخ فاستفحل أمرهما وجمعا جيشاً جرّاراً وزحفا به الى مدينة كابل * وقبل الوصول اليها وقعت محاربة بين عساكرهما وعساكر ابراهيم خان

ابن شير علي خان فى (باج كاه) فانهزمت عساكره فترك كابل خوفاً وجبناً وفرّ الى قندهار * وكان وقتئذٍ وزير شير علي خان « محمد رفيق خان » فى كابل فخرج يستقبلهما بغاية البشاشة فدخلوا المدينة آمنين مستبشرين ثم أرسل سرية الى جلال آباد فافتتحوها * ولما اشتدّ الخطب وعظم الأمر تنبه شير علي خان من نوم الغفلة وأفاق من غشية الحزن فجند جيوشه وسار بها الى كابل وعند ما اجتاز قزنه قابله محمد أعظم وعبدالرحمن بعسكر جرّارٍ فى شيخ آباد*فاشتعلت نيران الحرب بينهماوكانت الغلبة لمحمد أعظم فانهزم شير علي ورجع الى قندهار ودخل محمد أعظم مدينة قزنه وكان شقيقه محمد أفضل المشاراليه سابقاً محبوساً فيها فأطلقه وسلم عليه هو وجميع العساكر بالأمارة * ولما تمت لهم هذه الغلبة وقفلوا الى كابل رأى محمد أعظم أن محمد رفيق خان يسعى فى إثارة الفتن والقاء الشقاق بين الخوانين والامراء فأمر بخنقه جزاءً لفتنته السابقة وخيانته لسيده وتركه له وسعيه فى الفساد أخيراً

ثم جمع محمد أعظم عساكره وسار بها الى قندهار فتلاقى مع الأمير شير علي خان فى كلات الغلجائي فتصادم الجيشان وتقاتلا وأظهر شير علي خان فى تلك الواقعة غاية البسالة والشجاعة * غير ان قوة قلبه ما استوجبت ثبات أقدام عساكره الذين غلب عليهم الجبن والخوف بسبب الأنهزامات المتتاليـة فاضطر الى ترك قندهار والذهاب الى هرات * وبعد بضعة أشهر ذهب بفرقةٍ من الخيالة الى بلخ وجمع كثيراً من مقاتلي الأزبك والأفغانيين وزحف الى كابل من طريق قوهستان الوعرة مصحوباً بفيض محمد خان فقابله عبد الرحمن خان فى « بنج شير » فتقاتل الجيشان فقُتل فيض محمد خان (كأن إقباله وإدباره ووفاقه ونفاقه كانت دواعي الموت وسكراته)* وانهزم شير علي تاركاً مدافعه فوق الجبال وأسرع الى بلخ ومنها الى هرات علماً منه بأن عبد الرحمن سيتبعه بعساكره وقنع بها * وتوفي أثر هذه الواقعة محمد أفضل خان فى كابل وكان رجلاً محباً للعلم والعلماء كارهاً للظلم

والجور فخلفه شقيقه محمد أعظم خان

وبعد ان استقرّ على منصة الأمارة أرسل ابن أخيه المتوفي عبد الرحمن خان الى بلخ وجعله واليًا عليها وعزّزه باسماعيل خان ابن محمد أمين خان المقتول ليقدر على إطفاء الفتن التى حصلت هناك بين الأزبك والأفغانيين * ونصب ابنه محمد سرور خان واليًا على قندهار وجعل ابنه الآخر المسمى بعبد العزيز خان الذى كان عمره إذ ذاك ستة عشر سنة رئيسًا على العساكر الموجودة فيها * وهذا الرئيس الشاب قد ساقه الغرور وحب الظهور الى جمع العساكر وسوقها الى هرات من دون علم أبيه * وعند وصوله الى قرية كرشك صادمه محمد يعقوب خان ابن شير علي بعساكره فهجم الشاب الرئيس دفعة واحدة بمائتين من المشاة على قلب عسكر الخصم واستولى على مدفع وجلس عليه بعد أن قتل طبجيه * فلما نظر جيش محمد يعقوب عدم وصول المدد له أحاطوا به وأخذوه أسيرًا فتشتتت عساكره وانهزمت كما هي عادة الشرقيين

عند فقد رئيسهم * فأسرع محمد يعقوب بعساكره الى مدينة قندهار واستولى عليها حيث لم يجد مَن يُدافع عنها فقوي قلب شير علي خان لهذه الغلبة وجدّ فيه العزم والأرادة وقصد تلك المدينة بخيالة «الجمشيدي» و«فيروز كوهي» وجمع منها العساكر المتفرّقة وأسرع مع ابنه الى كابل فتقابل مع محمد أعظم خان فى وادي مكر على بُعد ستة فراسخ من قزنه وأنشأ كلٌّ من العسكرين إستحكامات وحفروا خنادق * وكان محمد أعظم عند سماعه بزحف شير علي قد أرسل الى بلخ يطلب اسماعيل خان الخائن علماً منه بأنه الخصم الألدّ لشير علي لأنه قتل أباه وأهانه غاية الاهانة * فجاء بعسكر بلخ وتوقف فى قوهستان الى ان تقابل العسكران فى مكر فهجم على مدينة كابل وفتحها ونادى فيها باسم شير علي خان ظنًّا منه بأنه سيجعله مكان أبيه والياً على قندهار * وعند وصول هذا الخبر الى عساكر محمد أعظم غلب اليأس عليهم وحصل فيهم الفتور وتفرّقت كلمتهم وتشتتت آراؤهم لأنهم قد رأوا

انفسهم بين عسكرين وعلموا أنه لا يمكن وصول الزاد اليهم * فعلم محمد أعظم أنه لا يجوز الاعتماد على هؤلاء العساكر الذين غلب عليهم الجبن واستولى عليهم الفتور والخوف خصوصاً لما رأى جراءة خيالة الجمشيدي وهجومهم على أطراف المعسكر على الدوام * ففرّ الى بلخ واجتمع بابن أخيه عبد الرحمن ودخل شير علي خان مدينة كابل بعد أن فارقها زماناً طويلاً واستقبله أهلها بكل بشاشة وسرورٍ لأنه كان محبوباً لدى الناس لسماحة أخلاقه وعدم ميله الى الظلم بالطبع * ثم ان محمد أعظم وعبد الرحمن بذلا غاية الجهد في جمع العساكر من الأزبك والأفغان وذهبا الى قزنه من طريق هزاره فبارزهما شير علي وبعد مقاتلاتٍ شديدة انهزمت عساكر محمد أعظم وعبد الرحمن وهربا الى مدينة مشهد من بلاد إيران وانفصل عبد الرحمن من عمه في تلك المدينة وذهب الى بخارى وأقام بمدينة سمرقند وهو الآن بها * وتوفي محمد أعظم بمدينة نيسابور حين ذهابه الى طهران وكان

عاقلاً مدبراً محباً للعدل ولكن أحوجته الضرورات والحوادث الكونية الى الجور والظلم * وأما إيثاره ولده الشاب الذى كان فى الحقيقة سبباً لخيبته وزوال ملكه بجعله إياه رئيساً لجيوش قندهار فقد كان لعدم اعتماده على سرداري الأفغان وخوانينهم لأنه قد تمكن منهم سوء الأخلاق بحيث انهم ما كانوا يعدّون الخيانة رذيلة ولا يستنكفون من إرتكاب العار لأن غالبهم فى خلال هذه الفتن قد انتمى لكلٍّ من الحزبين المتحاربين أزيد من عشرين مرّة وكان متمذهباً بمذهب الصوفية القائلين بوحدة الوجود * وبالجملة لما تمت السلطة فى سنة ١٢٨٥ للأمير شير علي خان بلا منازعٍ ولا ممانعٍ ذهب الى مدينة أنباله إجابة لدعوة الحكومة الانكليزية فأيدت انكلترا معاهدته العرقوبية السابقة التى وقعت بينها وبين أبيه دوست محمد خان بمواثيق أُخرى هي فى الحقيقة عبارة عن تمويهات ومخاتلات * ولما رجع نفى اسماعيل خان الخائن وإخوته الى الهند ثم خلع ابنه البطل محمد يعقوب

خان من ولاية العهد وجعل أخاه عبد الله خان وليّ عهده
مع صغر سنه محبةً لأُمه (ولبئست الشهوة التي تعمى
البصائر وتضلّ العقول عن الرشاد) * وأما محمد يعقوب
خان فقد ذهب الى هرات وأظهر العصيان بها ولكن لم تمتدّ
مدّة هذا العصيان فانه مع غلبته على عساكر أبيه لبّى دعوته
حينما دعاه الى كابل والأمير بدلاً عن أن يجامله أودعه
الحبس ومع هذا كله لم ينل الأمير بغيته لأن الموت قد
أسرع بوليّ عهده الجديد * وفى سنة ١٢٩٥ غلبت الوساوس
والأوهام على رجال الانكليز حينما رأوا وفود السفارة
الروسية على الأمير فجهزوا سفارة مؤلفة من عدّة مهندسين
وألف خيّال وأرسلوها الى الأمارة الافغانية فابى الأمير
الاّ منعها لقطعهم المرتّب الذى تعهدوا بدفعه كل شهر
من مدة سنين بلا سبب * فاستشاطت الانكليز غيظاً
وساقت العساكر الى البلاد الأفغانية ظُلماً وجوراً



الفصل الرابع

في بيان الشعوب المختلفة الساكنة في الأقطار المعبر عنها بأسم أفغانستان (وأخلاقهم وعاداتهم ومذاهبهم)

وفي ايضاح كيفية الحكومة في تلك البلاد

ان اعظم الشعوب المستوطنة لتلك الأقطار وأكثرها عدداً هو الجنس الأفغاني ومقرّه جنوب البلاد والشرق الجنوبي منها * والخُلُق الغالب فى هذا الجنس هو الحقد والضغينة والتشوق للأنتقام وإقتحام المحاربات والتهوّر فى المخاصمات والمنازعات لأدنى الأسباب وان صورهم

الظاهرة تحكى خليقتهم هذه وتنبئ عنها فان وجوههم على الدوام عابسة * وقلما يوجد بينهم البشوش وان كان يظهر فى بعض معاملاتهم الحلم والتؤدة وكذلك خشونة لغتهم وغلظ اصواتهم يدلان على هذه الخليقة وعلى الفظاظة وغلظ الطباع * ولهم ميلٌ عظيمٌ للنهب والسلب وشنّ الغارات وإثارة الفتن * ومما ارتكز فى طباعهم من الشجاعة والأقدام والميل الطبيعي الى المحاربة أرشدتهم الطبيعة من قرونٍ الى ترتيب نظامهم العسكري على هيئة تقرب من النظام الموجود فى هذه الأزمان * وذلك انهم كانوا يصفون الصفوف ويحكمون ترتيبها ويقيمون الضباط أرباب الرتب العالية وأرباب الرتب الدانية وعند سوق الجيوش للمحاربة كانت الضباط تتقدم العساكر اتقودهم حتى اذا اشتعلت نيران الحرب تأخرت الضباط وتقدّمتهم العساكر للنزال والصدام واشتغلت الضباط بالأوامر والنواهي والنظر فيما يجب اجراؤه من الأقدام والأحجام والتيامن والتياسر والسير والتوقف وغير ذلك * وكان

من عادتهم انه اذا ولّى أحد العساكر فراراً حكموا عليه بالقتل ومن ذلك ماوقع فى واقعة أصفهان: وهو ان ضابطاً همّ بقتل أحد العساكر عند مارآه متقهقراً فأراه العسكري يده اليمنى مقطوعة تخلصاً من العقاب القانوني فعافاه الضابط من القتل الاّ انه لم يخلص من عتابه ولم يرضه هربه وتقهقره بل أرجعه الى المعسكر قائلاً «يامخنث ألم تكن يدك اليسرى موجودة فان قُطعت أيضاً فعندك أسنان تنهش بها أعداءك فاذهب وقاتل الأعداء الى آخر رمق من حياتك» * ومن وظائف الضباط زيادة عن الأوامر والنواهي المتعلقة بترتيب العساكر وحفظ نظامهم تفقُّد مَن يموت من العساكر فى الميدان ليأتوا به من ساحة القتال ويدفنوه كي لاتقع جثته تحت إهانة أيدي الأعداء الاّ مَن قُتل منهزماً فانهم لايجوّزون دفنه أصلاً * ولأفراد العساكر الأفغانية من الطاعة والانقياد لرؤسائهم مالا يوجد فى عساكر ملك من ملوك البلاد المتمدنة حتى انهم عند تفرّقهم فى البادية وتشتتهم بحيث

لا يكون فردٌ منهم مع الآخر لو سمعوا نداء منادٍ يدعوهم الى ضابطٍ أو رئيسٍ من رؤسائهم لهرعوا مهرولين جميعاً لأجابته والأجتماع حيث يأمرهم ولو نالوا طعاماً فى المخمصة لتركوه مابين داعيهم * وحسن طاعتهم اذا فتحوا بلداً وأمرهم أُمراؤهم بعدم التعرّض لأهاليها لايقع منهم أدنى شيءٍ يخلّ بالرّاحة حتى لو مرّت عليهم النساء مكللات بأكاليل الذهب لايلتفتون اليهنّ * واتفق انه وقع النزاع فى أصفهان بين طائفتين من الأفغانيين فى أول جلوس أشرف على كرسي السلطنة وعظم الخلاف بينهما حتى اقتتلتا فقفل أرباب الحوانيت حوانيتهم خوفاً من حصول الهرج والمرج فجاء الأمر من أشرف بفتح الحوانيت مُعلناً « ان مَن يصيبه خسارة فأنا الكفيل بتعويضها » وامتدّ القتال فى المدينة أياماً ولم يحصل أدنى ضرر للأهالي من المقاتلين * ولجميع رجالهم تدرّب تام فى الطعن بالرّماح والضرب بالسيوف ولهم خفة ونشاط فى ركوب الخيل وفى الأزمنة الأخيرة

صارت لهم الدربة في إطلاق الرصاص أيضاً * ومن زمن الأمير دوست محمد خان شرعوا فى ترتيب العسكرية على النظامات الجديدة وقد برعوا فيها عملاً لاعلما وبلغ عدد عساكرهم المنتظمة ستين ألفاً

وان كثيراً منهم وان كانوا قد مالوا الى الاقامة فى المدن والقرى كأهالي قندهار وقزنه وجلال آباد وغيرها الاّ أنهم كبقية اخوانهم الذين لم يزالوا فى الخشونة حيث لم يأخذوا جانب الترف والرّفاهة بل يسلكون فى تعيشهم طرق التخشن والتقشف ويقنعون من اللذات باليسير حتى انهم يأكلون الضأن بجلده * فانهم بعد مايذبحونه يحرقون صوفه ثم يجففونه ويدّخرونه للاكل ولا يتناولون الأطعمة بالملاعق ولا يضعون أواني الطعام على الخوان بل يأكلون على الأرض بأيديهم * وليس لهم عناية بتنظيف ألبستهم وأبدانهم ولا يهتمون بنظافة مساكنهم وحجراتهم وتطهير مدنهم من الأوساخ * ولذلك ترى المدن المسكونة بالكثير منهم لاتخلو من

الأوساخ والقاذورات وكثيراً ماتكون جيف الحيوانات في معسكرهم ولا يعتنون بابعادها من بينهم * وغالب الجبليين وأهل القرى منهم اذا أكل لايغسل يديه بل يمسحها في لحيته أو مداسه * وبعض منهم اذا لبس لباساً جديداً يلطخ بعضه بالسمن خصوصاً عاتقيه إظهاراً لتأصله في الغنى وعدم مبالاته بالجديد وإراءة لسمنه * وجميعهم سواء كانوا من سكان الأخبية أو البوادي يلبسون من الألبسة خشنها فأرباب البادية يصنعون ثيابهم من نوع اللباد على هيئة غريبة بكمين طويلين يشبهان خرطوم الفيل يصلان الى الأرض ويسمى عندهم « كوسي » ولهم أيضاً ثوب آخر من هذا النوع يصل الى الفخذين بكمين قصيرين يسمى « صدرية » وهؤلاء قلما يبدلون ثيابهم قبل البلاء * وسكان المدن يصنعون ثيابهم من الجوخ الغليظ المعروف عندهم ببركر فيتخذون منه جبباً ضيقة الأكمام قصيرتها ويتقبون بأقبية من القماش الملوّن المعروف بالشيت وثيابهم في زمن الشتاء من جلود الحمل

يبالغون فى دبغها حتى تصير فى اللين والنعومة كالحرير ويصبغونها بلون اصفر بهي ويرقشونها بطراز الحرير ثم يفصلون منها جبباً يتخذها العملة قصيرة تنتهي الى الركبتين بكمين الى المرفق وتسمى (بوستينجه) وأرباب الصنائع والأواسط من الناس يتخذونها طويلة تبلغ الكعبين كسائر ألبستهم بكمين طويلين وتسمى بوستين * وقد يتخذ الأمراء من شيلان الكشمير جبباً ومن السمور والسنجاب فراءً (كرك) * وغالب الأفغانيين يعتمون بعمامة زرقاء واما السردارون والعظماء فغالباً يعتمون بشيلان الكشمير ألوانا * وسكان البلاد الحارّة يحتذون النعال ويتخذون صدريات ويلبسون أقمصة تنتهي الى نصف الساق واسعة الأكمام * وغالبهم يتحزم بأحزمة عريضة تشغل ما تحت الصدر الى الفخذين * وغالب القبائل لا يحلقون رؤوسهم وبعضهم يتخذون ضفيرة طويلة من شعورهم

واما نساؤهم فانهنّ يلبسن ألبسة طويلة ويتمنطقنَ

بمناطق تقرب من الثدي حتى يرى بارزاً * وغالب نساء القبائل الساكنة فى الجبال يقطعن شعور أذناب الخيول ويصلنها بشعورهنّ * ونساء قبيلة الغلجائي يحبكن شعور نواصيهنّ ويشكلنها بشكل قرص ثم يسدلنه على الجبهة فيمتدّ الى الصدغين فى العرض ويستر الأنف طولاً كأنما هو برقع مستدير ويعلّقن فى آذانهنّ حلقات غليظة ثقيلة من الفضة والحديد والنحاس والبلور

وامراء الأفغان لايجلسون على المنصات والكراسي بل يفرشون مجالسهم بالأنماط والنمارق الفارسية وليس لهم من الأبهة والعظمة ما لغيرهم من الأمراء ولايستنكفون من تناول الطعام مع خدمهم والأصاغر من الناس

والجبليّون منهم وأهل البادية يحترفون برعي المواشي والأنعام ويتعيشون منها وقليل من الزراعة وقلّما يوجد منهم التاجر الاّ فى قبيلة «لوهاني» من الجبليين* فان غالب هذه القبيلة من التجار ونشاطهم فى التجارة

على نمط غريب إذ يبلغون بأمتعتهم محمولة على الجمال الى قُرب الصين وبلاد سيبيريا ويجيؤن بها الى بلاد الأناضول ويطوفون الأقطار الهندية * وهذه القبيلة تمتاز عن سائر القبائل بألبستها فان عمائمهم ذات زوايا أربع متقابلة وأقبيتهم تُشبه أقبية الأرناؤد وسكان أزربيجان بأنها ضيقة الأعالي واسعة الذيول كثيرة التكاميش من الوسط

وأما سكان المدن والقرى فيشتغلون بالزراعة وغرس الأشجار وانشاء البساتين والرّياض وقلّما يوجد فيهم أرباب الصناعة كالحدادة والنجارة والحياكة وما يشبهها * ولا يشتغل منهم بالتجارة غالباً الاّ أهالي قندهار فان لهم حرصاً على التجارة وغالب تجارهم من طلبة العلم

وليس للأفغانيين دراية كافية بكيفية إدارة الحكومة وضبط الدفاتر وما يشبه ذلك ولهذا تجد جميع هذه الامور بأيدي طائفة « قزل باش » الذين هم من بقايا عساكر نادر شاه * ولا يجوّزون بيع الأُسراء

وان كانوا غير مسلمين ويكرمون الغرباء وأبناء السبيل ويستقبحون غالباً السرقة وان كانوا يتفاخرون بالنهب والغارة وغير خافٍ ان الفرق بين السرقة والنهب هو الفرق بين القوة والضعف * والمنكرات التي هي نتائج الترف والترفه قليلة الوجود فيهم لتمكن أخلاق البداوة منهم ولا يخلو غالبهم من خلّة الطمع لتسلط الفقر عليهم * وان نساء الأفغانيين الساكنات فى المدن يسترنَ وجوههنّ بخلاف نساء القرى والبوادي فانهن مكشوفات الوجوه ويختلطن مع الرجال وتأخذ كل منهنّ يد رجل ويرقصنَ فى الأفراح على هيئة دائرة وتارةً يرقص الرجال منفردين على هذه الهيئة فى الأعياد والأفراح ويسمى هذا الرقص لديهم (عتن)

ومن عادة سكان القرى والبوادي من الأفغانيين فى أفراحهم أن يدعو والد العروس أقاربه وأحبابه وجيرانه فى نهار الزفاف ويعرض عليهم الثياب التى عليه

عادةً أن يعدّها للعروس وزوجها ثم يستدعي الزوج في هذا المحفل ويلبسه على ملأ الحاضرين ماأعدّ له بعد قراءة الفاتحة * والنسوة يفعلنَ ذلك بالعروس ثم يزفونها الى محل بعلها مصحوبة بالأغاني والطبول وعند وصولها واستقرارها في الحجلة التي أُعدت لها تأتي الفتيات بأنواع الفواكه والنقل وينثرنَ على رأس العروس ويأخذ المدعوّون والمدعوّات في التفكه بالفواكه والتنقل بها وتلبث العروس عاكفة في محل زوجها لا تظهر في الناس أياماً * فاذا مضت تلك الأيام أتت اليها بنات محلّتها يعزفنَ بالدفوف وعلى رأس كل منهنَّ جرّة ويأخذنها ومعها جرّة مثلهنّ ويذهبنَ جميعاً على هذه الهيئة مغنيات عازفات الى أن يصلنَ نهراً أو عين ماء فيملأن تلك الجرات ويرجعن كذلك وللعروس بعد ذلك ترك العزلة ومعاشرة الناس * وتختص قبيلة (منكال) و (داوور) دون القبائل بكون أبوي العروسين يجب عليهما الرقص في العرس * ولهاتين القبيلتين عادة

غريبة: وهي ان شبانهم في أيام المواسم والأعياد يحلقون أحد حاجبيهم وأحد جانبي شاربهم من خلاف ويكحلون عيناً بالسواد وعيناً بالحمرة ومن له لحية منهم يحلق جانباً منها ويترك الآخر ويقضون أيام عادتهم هذه باللعب بالسيوف حتى يُخيَّل للناظر أنهم يحاولون الفتك ببعضهم * وأبناء هاتين القبيلتين ممن يستفزهم حسن الصورة ويشغفهم الجمال أينما تجلّى * بل هم يتنافسون في إظهار صدق المحبة وخلوصها بتقديم الذبائح حتى تغالى بعضهم بتقديم أبيه ذبيحة

ومن عادة قبيلة (ختك) ان نساءها في المآتم يصبغن وجوههنّ ويعفرنها ويثبن لاطمات صائحات ويخمشنَ وجوههنّ بأظافرهنّ

ومن عادة جميع الأفغانيين إطعام المعزّين ثلاثة أيام الاّ أنهم يختلفون بعادةٍ في مَن يقوم بنفقة الأطعمة ففي غالب القبائل يقوم بها صاحب المأتم وفي بعضها يقوم بها جيرانه وأهالي القرى القريبة منه أما هو

فلا يصنع شيئاً

ومن أهالي القرى مَن يعلم الأولاد الذكور الرقص ويلبسهم ثياباً تشبه فساتين نساء الافرنج ويجعل عليها شراريب من جميع أطرافها لأجل الرقص في الأفراح * واذا وُلد لأهل القرى والبوادي منهم مولود تصعد القابلة ولو في نصف الليل على سطح البيت أوعلى محل مرتفع وتنادي بأعلى الصوت ثلاث مرات إخباراً بالمولود وتأدية لشكر هذه النعمة لله

وجميع الأفغانيين سنّيون متمذهبون بمذهب ابي حنيفة لا يتساهلون رجالاً ونساءً وحضريين وبدويين في الصلاة والصوم سوى طائفة (نوري) فانهم متوغلون في التشيُّع ولهم محاربات شديدة مع جيرانهم السنيين ولا يبالون بالصلاة والصوم وانما يهتمون بأمر مأتم الحسين (رضى) في العشر الاول من محرّم ويضربون ظهورهم وأكتافهم بالسلاسل مكشوفة * ويوجد في بعض قبائل (كاكر) بقايا من الطريقة

المزدكية وان كانوا على دين الأسلام

ومزدك هذا كان رجلا فى زمن (قباذ) من أكاسرة فارس وقد ادعى النبوّة وتبعه قباذ وأربعون ألفاً من الفارسيين وكان من أُصول دينه الأشتراك فى الأموال والنساء وكان يعلل ذلك بأن المنازعات والمقاتلات لاتحصل الاّ لأجلهما فلو حصل الأشتراك فيهما لارتفع الشقاق واستتبت الرّاحة * ولما مات قباذ وجلس ابنه انو شروان المعروف بالعادل على منصة الملك احتال لأبادة هذه الشريعة المبتدعة * فطلب الشارع وقابله بالبشر والبشاشة وأظهر له رضاه وقال له «اني قد اخترت هذه الشريعة البديعة واستحسنتها ولكن لا أقدر أن أتظاهر بها خوفاً ووجلاً مالم أرَ الذين اتبعوك وأعلم أن فيهم كفاءة لدفع شر المنكرين» * فعرض الشارع أتباعه عليه فى محلٍ أعدّه انوشروان لذلك فصار الجميع طعمة للسيوف وما هرب منهم الاَّ ثلاثة أشخاص منهم زوجة مزدك * ولم يصدر عنه هذا الفعل

الاَّ بمشورة وزيره بزر جمهر حيث قال له « ان هذا الشارع لايريد بشريعته هذه الاَّ إستئصال السلطنة عن وجه الارض لأن السلطنة لا تكون الاَّ بالمال والنسب فاذا تأسس الأشتراك فى الأموال والنساء فلا سلطنة » * وقال خواجه (نظام الملك) فى تاريخه ان الأباحيين الموجودين فى إيران هم من أتباع مزدك وقد توارثوا هذه الطريقة عن الذين نجوا من حدّ سيف انوشروان * وكذلك يُرى فى أهالي خست وكرم بعض عادات الخوارج والنواصب فانهم يصوّرون هيكلاً فى غرّة محرّم ويدفنونه ثم أنهم يخرجونه فى يوم عاشورا ويكسرون عنقه متهللين مستبشرين وهؤلاء يستقبحون الختان أيضاً

والأفغانيون مع شدّة تعصبهم للدين والمذهب والجنس لايعارضون غيرهم فى حقوقهم ولا يتحاشون عن ان يروا شيعياً أو غير مسلم يقيم مراسم دينه ولا يمنعون المستحقين منهما من نيل المراتب العالية فى

حكومتهم * فانك ترى أرباب المناصب فى البلاد الأفغانية من الشيعيين (القزل باش) * وكل افغاني يزعم أنه أشرف الناس لكونه أفغانياً ولو كان فقيراً وانه لا يوجد الأيمان الكامل والأسلام الخالص الاّ فى جنس الأفغان والعرب * وكل قبيلة اذا أرادت أن تبرم أمراً فلا بد أن يجتمع أمراؤها للمشورة وتسمى هذه الجمعية عندهم بجركه * واذا قتل أحدٌ من قبيلة أحداً من قبيلة أخرى فكل فرد من أفراد قبيلة المقتول يرى انه من الواجب عليه أن يجتهد لأخذ الثار بقتل رجل من قبيلة القاتل ولا يقتنعون بقصاص الحاكم ولا يتجاوزون عن ذلك ولو مضت عليه أعوام الاّ أن يستجير بهم القاتل * وهكذا تكون الحال اذا قتل أحدٌ من عائلةٍ أحداً من أُخرى

والأفغانيون يحمون الدخيل ويؤمنون الملتجئ اليهم بدمائهم وأموالهم * وأهل الحضارة والبداوة منهم يتسلحون غالباً بسيوف صغيرة تسمى «سيلاوه»

و « نوره » وبخناجر مستقيمة وبآلات نارية كالبنادق والطبنجات وغالب بنادق أهل الجبال بالفتيل ولا تنقطع المحاربات بين القبائل والعائلات * وقد وقع كثيراً ان الأبن قتل أباه والأخ قتل أخاه ولا ينعقد الصلح بين القبيلتين المتحاربتين الا بالمصاهرة * وغالب سكان الجبال والأودية لا ينقادون للأمير الا بقوة جبرية وينتهزون الفرصة دائماً لرفع الضرائب الأميرية عن عواتقهم

ومن القبائل مَن يقتات بالذره ومنهم من يقتات بالدخن ومنهم من يقتات بالشعير ومنهم من يقتات بالبر وغالب أُدمهم الأقط واللحم * وفى زمن الشتاء يصنعون منهما طبيخاً ويخبزون خبزهم غالباً بالصاج وفى الأسفار يخبزونه بحصباً محماة يضعونها فى قطعة من الخمير ويملؤنها ناراً حتى تستوي ويسمون هذا الخبز « كاك » * وقلما يوجد البصل عند بعض القبائل كقبيلة « يوسف زائي » و « أجيك زائي » فتجدهم اذا رأوا اجنبياً يتملقون ويتذللون له قائلين « عندنا مريضاً فنرجوك أن تتفضل عليه ببصلة عسى أن

يكون شفاؤه فيها » * وان قبيلة أجيك زائي كثيراً ما يتعرَّضون للقوافل إرادة النهب ويسدّون طريقها ويقابلونها بالأسلحة النارية والآلات الحادّة فاذا لم يمكنهم الغلبة عليها صالحوها بأُقة أو أُقتين من البصل * واتفق ان محمد أعظم خان بعد ما ترك البلاد الهندية وفد على قبيلة يوسف زائي ونزل فى خيمة خانها فقام الخان مسرعاً وعلى وجهه لوائح الفرح واذا به قدّم الأمير بصلة

وكل الأفغانيين يعتقدون بقبور الأولياء ويذهبون لزيارتها ويذبحون الذبائح لديها * وبعضهم تغالى فى اعتقاده بها حتى ان رجلاً من قبيلة الأفريدي المشهورة بالسلب والنهب لقي شخصاً فأراد أن يسلبه فاستجار بالله وبالرسول فلم يتركه ثم استجار بتربة شيخ يسمى « منلايار محمد » فاضطرب ذلك الرجل خوفاً وقال « جلّ جلاله أوقعتني فى الكفر » وترك سبيله * وغالب القبائل وسكان الأودية والقرى يميلون الى اللعب والطرب وفى الأزمنة الخالية عن الشغل يجتمعون

على هيئة دائرة ويرقصون الرقص الموصوف سابقاً ويلعبون بالخيل والسيوف * وساكنو الجبال الباردة منهم « نكست » و« كرم » أغلبهم أبيض اللون والساكنون فى البلاد الحارّة كقندهار وجلال آباد سمر الألوان

ومن العوائد الدينية الجارية عندهم انه اذا مات أحد منهم يخرجون دراهم ودنانير من ماله يعطونها للفقراء والمساكين من العلماء بأسم اسقاط الصلاة * ومن أهل القرى والمدن مَن له شغفٌ عظيمٌ بتعلم العلوم كالصرف والنحو والمعاني والبيان والفقه والأصول والتفسير والحديث والمنطق والفلسفة والهيئة والهندسة والحساب ويتعلم بعض منهم العلوم الطبية * وبعض من أهل القرى يكتفون بتعلم الفقه بدون استحصال العلوم العربية * والعامة يتكفلون بأرزاق الطلبة مدة الطلب بطيب نفس فيخصص كل واحد قسماً لطلبة العلم مما هيأه لغداه أو عشاه ثم يطوف بعض صغار الطلبة على الدور لجمع ما أُعدّ لهم * وأهل بعض الجهات لايجوّزون تناول ما خصص للطالبين

اذا غفل الموكل بالجمع عن أخذه* وللعلماء فى تلك البلاد شأنٌ عظيمٌ وسلطةٌ روحانيةٌ تامةٌ ونفوذ كلمةٍ بين الأهالي بحيث يخشاهم الكبراء والعظماء والأمراء حيث ان قلوب العوام فى قبضتهم ولهم ان يثيروا الشعب على أي أمير أو كبير متى شاؤوا * والكثير منهم يستنكف من ملاقاة الأمراء ويتنزه عن قبول هداياهم وان كان يقبل هدايا غيرهم من الناس * ويستكبر عن زيارة رجال الحكومة حتى ان أمير البلد لو زار أحدهم لا يرى من نفسه أن يتنازل لمقابلة زيارته بزيارة مثلها *وبسبب سلطتهم هذه قد يصدر عنهم أعمال مضرّة يأباها الشرع والعقل إذ يحكمون بكفر بعض الأشخاص أو بفسقه اذا رأوا منه ما يخالف أهواءهم بل قد يكفر بعضهم بعضاً حباً للانفراد بالرئاسة * خصوصاً فى هذه الأزمان الأخيرة بعد ما انتشر مذهب الوهابية فى الهند فان مَن كان أنفذ سلطة اذا رأى نجاحاً لمن هو دونه يحكم بأنه وهّابي حتى يسيئ اسمه * ويلزمون الحكام بأجراء العقوبات الفظيعة على مَن حكموا عليه

ومن ذلك ماوقع فى قندهار : وهو ان أحد كبار العلماء حكم بكفر الشيعة فثارت عليهم قلوب الأهالي وقامت الحرب بينهم وسفك فيها غزير الدماء ونُهبت البيوت والدكاكين * وكذلك ما وقع فى كابل وهو : ان بعض علمائها حكم بكفر الشيعة ووقعت بسببه حرب امتدّت أشهراً بين السنيين والشيعة (القزل باش) * والبعض منهم يتسم بسمة الطريقة ويتوسد وسادة الأرشاد وهؤلاء يتخذون مساكن ورباطات للزائرين وغيرهم ويقدّمون لهم الأطعمة فى أوقاتها ووجاهتهم ونفوذ كلمتهم وسعة نفقاتهم بحسب مايأخذونه من الذين يلوذون بهم باسم الهدايا والنذور * ومنهم مَن يتمكن بحسن سلوكه وظاهر صلاحه من قلوب العامة ويحصل له الكلمة العليا والنفوذ التام ويقصده الوف من الناس من كل فج فيقدّم لهم الموائد مدّة إقامتهم لديه ولا يخلو رباطه فى جميع الأوقات من مئين من الأطعمة والأشربة والألبسة * ومنهم مَن يتفرّد بالحكم فى بعض أضلاع

البلاد الأفغانية ويتمتع بضلعه ويحامي عن حوزته ويدفع من يهاجمه من جيرانه ويهجم في بعض الأوقات عليهم محتجاً في كل ذلك بالأدلة الدينية * ومن هؤلاء عبد الغفور المشهور (بأخند صوات) الذي كان متسلطاً على (صوات) و (بنير) وكان معتقداً في جميع البلاد الأفغانية على العموم بل وفي بلاد الهند وبخارى وكان فقيهاً زاهداً متقشفاً مخشوشناً في معيشته يتعيش من الذرة والدخن الجبليين وألبان معز لا ترعى الاّ اعشاباً جبلية * وكان عنده على الدوام عدد وافر من المريدين وكثيراً ما شنّ الغارة على الانكليز وانتصر عليهم وكان ينشر في البلاد منشورات يدعو بها أهلها الى الجهاد فيجتمع اليه الوف من الناس * وكان يؤيده ويساعده على هذا جماعة من الوهابية من الهنود أصحاب السيد أحمد الوهابي الذين هاجروا من الأقطار الهندية خوفاً من المسلمين السنيين وتوطنوا في صوات وبنير

وهذا الشيخ « اخند صوات » كان اذا وفد اليه

الزائرون وأبناء السبيل يقرّبهم على حسب أحوالهم وما منحهم الله فى بلادهم من جاهٍ وثروةٍ أوضعةٍ وفقر * وكان يقدّم الى الأمير ما يليق به والى الفقير اللبن الرائب والبصل والخبز اليابس * وكان اذا سمع ان شيخاً قد ارتفع صيته فى البلاد أوجلس مجلس الأرشاد بادر بالحكم عليه بالتوهب حتى تنفر منه القلوب وتنزل درجته من إعتبار العامة * وقد قتل بعض المشايخ بسبب حكمه هذا وأشهر بعضهم على أشنع هيئة وأقبح صورة

وجميع علماء الأفغان يحرمون شرب التبغ بجميع أنواعه كعلماء بخارى ولكنهم لا يتعرّضون لمنع العامة عنه الاّ « اخندصوات » فانه كان يرسل من لدنه الرسل والمبعوثين الى البلاد الأفغانية ليمنعوا الناس من شرب الدخان ويكسروا الشبقات والارجيلات اذا ظفروا بها * ويحرمون أكل ذبيحة الشيعيين مع أنهم يحللون أكل ذبائح اليهود والنصارى زاعمين ان الشيعة قد ارتدّوا والمرتدّ لا تؤكل ذبيحته بخلاف أهل الكتاب * وجميعهم يحمل على عاتقه

حراماً غليظاً أو رقيقاً على حسب الفصول لاجل الصلاة بل ذلك عادة غالب الأفغانيين * وجميعهم يظهرون التعصب للدين ويبدون الغيرة على الأحكام الشرعية والاعتقادات الا من كان منهم على منصة الأرشاد فانه قد يوجد فيهم التساهل في الأمور الدينيـة * ولطلبة العلم لِما يرون من احترام العامة لهم بعض تعدٍّ على الناس حتى ان طلاب (نكنهار) يتحزّبون ويتسلحون بالقرابينات ويهجمون على أهل القـرى اذا رأوا أدنى اهانة منهم لأحدهم ولا ينتهون عن التطاول الا ان يقدّم الأهالي كفارة عما فرطوا فى جانبهم * وكثير من طلاّب تلك النواحي لا يبالون بالصلاة والصوم ولهم احتفالات فى بعض ايام السنة يدعون اليها من الطلبة وغـيرهم مايزيد عن الف شخص ويلزمون أهل القرى بتهيئة مأدبة فاخرة ثم يأتون بأمرد جميل ويلبسونه برقعاً وأساور ويجلسونه على كرسي ويلقبونه بالسلطان فيكون له الحـكم مدّة هذا الاحتفال يأمر بضرب مَن يشاء ويغرم من يشاء *

وحين ما يريدون الانفضاض يجيء المسمى بالوزير منهم بين يدي المجعول سلطاناً ويقول له « ان الجند قد تمرّدوا على السلطان نظراً لانقطاع الراتب عنهم » فيسفر ذلك الأمرد عن وجهه ويضع جانباً من النشوق فى راحته ويبسطها فيتوارد أهل الاحتفال عليه وكلّ يتناول شيئاً من هذا النشوق وبهذا ينفضّ الملعب * واللغة الأفغانية فى غاية الخشونة وحروفها الهجائية أكثر عدداً من حروف اللغة الفارسية وأحسن مَن يتكلم بها أهل مدينة قندهار * وتوجد مؤلفات قليلة بهذه اللغة نظماً ونثراً

ومن الشعوب الموجودة فى البلاد الأفغانية شعب يقال له (تاجيك) ومنه غالب سكان مدينة هرات وضواحيها ومدينة كابل والقرى الواقعة بينها وبين بلخ وكذلك أهل مدينة قزنه وبعض القرى المجاورة لها ولقمان وقصبة لقمان وبعض قرى قندهار ومنه أيضاً غالب سكان المدن البلخية * وهذا الشعب ذو جدّ واجتهاد وله حرص على تعاطي الحرف والصنائع كالحياكة والنجارة والحدادة

والبناء وغيرها وعلى معرفة فن الزراعة وتربية الأشجار والكروم وله عناية بالتجارة * والساكنون منه فى قوهستان كابل قد طبعوا على الشر والفساد وحب القتال وسفك الدماء فترى الحرب قائمة فيما بينهم أبداً لا تخلو منها قرية مع أخرى ولا بيت مع آخر* ومن ثم تجد رجالهم غالباً قد اتخذوا لهم بروجاً يقيمون بها بأسلحتهم خوفاً من الغارات

وبالجملة ان هذا الشعب أحسن حالاً من الأفغانيين فانه أدرى منهم بالادارة المنزلية وأنظم فى زيه وملبسه ويمتاز عنهم بمراعاة النظافة بل يفوقهم دراية وإدراكاً وفهماً وذكاء غير انه قلّما يوجد فيه عالم أو من يميل الى تحصيل العلوم على خلاف الأفغانيين * ومما اشتهر به سكان القرى من هذا الشعب إصابة المرمى فهيهات أن تخطئ رصاصة أحدهم الغرض ولهم صنف من طوال الخناجر يتقلدونها * وجلّ هذا الشعب سني على مذهب ابي حنيفة ولا يوجد فى هذا الشعب عصبية كما لا يوجد

فيه أمراء * وغالبهم بيض الوجوه ويعتمون بعمامة الأفغانيين نوعاً

ومن الشعوب أيضاً شعب (هزارد) ويسكن هذا الشعب في الجبال الواقعة فى شمال قزنه الممتدّة الى شمال هرات * وأصله من الجنس المغولي كما يؤخذ من سيمائهم فان بعيونهم ضيقاً مع ميل لحاظها نحو الرأس ولحاهم غالباً ليست الاّ بعض شعرات نابتة فى أذقانهم * وبالجملة فان تركيب وجوههم يشبه تركيب وجوه الصينيين والتتر الأصليين * وقد قال بعض المؤرخين ان هذه القبيلة من بقايا عسكر جنكيز خان بل ادعى انها كانت منذ ثلاثمئة سنة تتكلم باللغة المغولية * لكن مَن وقف على تمكنها من اللغة الفارسية وعدم مزجها إياها بشيء من اللغة المغولية مع مجاورتها للتركمان وجنس الأزبك من الترك يجزم بأنها استوطنت مواطنها هذه من قبل جنكيز خان بمدد مديدة * وهذه القبيلة لم تزل على الخشونة والتوحش عريقة فى البداوة الى الغاية على انها

تحسن صنع صنف من الجوخ يقال له (برك) وهو أجود أصنافه وقلّما يصنع نظيره فى أوروبا * وجميعها ماعداعمارة جمشيدي يلبسون قباءً مشقوقاً ويتمنطقون عليه * لكن اذا كان القباء من برك فيجعلون أكمامه الى المرافق ومنها الى الزند ويتخذونها من أقمشة أخرى كالحرير وغيره وفى فصل الشتاء يتخذون قلنسوة من القماش * وأما نساؤهم فيعتممن دائماً ويلبسن كالرجال قباء على الشكل المار ذكره * واما الجمشيدي فلباسهم يشبه لباس مجاوريهم من التركمان والاويمق وهو جبة تضرب الى الكعبين ضيقة الأكمام قصيرتهما وقلنسوة من الفراء تسمى (باباق) بالباء الفارسية * وهذه العمارة معروفة بالفروسية ومطبوعة على النهب والسلب وشنّ الغارة لجيرانها ومشهورة بالشجاعة والاقدام وإصابة الغرض فى المرامى كسائر اخواتها من قبيلة هزاره

وهذه القبيلة على مذهب الشيعة الاّ فصيلة « شيخ على » و « الجمشيدي » * لكنها ليست على شئ من هذا

المذهب الآ بغض الخلفاء ومحبة علي وإقامة مأتمه في عاشورا بضرب السلاسل على الصدور والظهور * ولا يتقي آحاد هذه القبيلة إظهار مذهبهم مع ان التقية من واجبات مذهب الشيعة حتى لوسئل أحدهم عن مذهبه لقال بغلوّ بدون مبالاة « اني عبد علي » ولهم زيادة اعتصام بمذهبهم هذا

ومما يحسن سرده هنا ان سنياً عرض التسنن على جارية منهم كانت عنده فأبت فعزّرها وزجرها والح عليها فاستشاطت غيظاً وقالت « أهون عليّ أن اكون كلبة ولا أكون سنية » * ومن شأنهم أنهم يلقنون أمواتهم أثر دفنهم بكلمات معناها « اذا جاءك ناكر ومنكر فلا تخف فان مولاك علياً سيحضر عندك ويطردهما عنك » * ومن عاداتهم ان أهل الميت يشق كلّ منهم قلنسوته بعد دفنه ويتركها على قبره * وقلّما يوجد عند هذه القبيلة نقود وغالب معاملاتهم بالمقايضة وتأخذ منهم الحكومة بدل النقود على حسب حال كل شخص عدداً

مخصوصاً من صنف المعز فان تأخر أحدهم فى أداء الضرائب حتى تراكمت عليه وعجز عن أدائها يُقدّم بنته بدلاً فيتخذها العامل أو الحاكم لجاريه * وأغلبهم يستعمل أطعمتهم بلا ملح لندرة وجوده ويعظمون الشرفاء (أي أولاد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه) غاية التعظيم * ويتميز الشريف عندهم عن غيره بالأنفة والعظمة وعدم التحية عند قدومه على مجلس من المجالس واستعمال الشتائم فى مخاطبته للعامة * ويعللون هذا بأن الشرفاء سلاطين فلا ينبغي لهم أن يعاملوا الناس الاّ بهذه الطريقة

ومن العادات الغريبة عندهم انه اذا حصلت منازعة بين امرأتين تقيم كل منهما نائبة عنها من النسوة المشهورات بالتفنن فى الشتائم * فتقوم كل من النائبتين أمام الأخرى فتبتدئ إحداهما بالشتم محركة يديها ورجليها وحاجبيها بحركات مختلفة فتجيبها الأخرى بشتم أفظع على ذلك النحو من الحركات وهكذا تتناوبان الشتائم حتى تأتي إحداهما بشتم يبلغ الغاية فى الفظاعة بحيث لا تقدر

الأخرى أن يأتي بمثله فتنفصل الدعوى وتكون الدائرة على التي صارت نائبتها عاجزة عن المقابلة * فان انقضى النهار وما حصلت الغلبة لأحداهما تأتي كل واحدة منهما بقفة تكفأها قائلة « الميعاد غداً » * ومن الشعوب قبيلتا أزبك وتركمان وهما من أصل تتري يتكلمون الآن باللغة التركية * والقبيلة الأولى تسكن فى أقطار بلخ والثانية فى الأراضي الواقعة بين مدينتي ميمنة وهرات وكلهم سنيون على مذهب أبى حنيفة * وان الأزبكيين (الذين ينسبون الى أحد حفدة جنكيزخان) يشتغلون غالباً بالحرث وتربية الكروم والأشجار واقتناء المواشي ويعتمون بعمائم صغيرة يسدلون عذبتها على آذانهم ويلبسون جبباً من الحرير وغيره مبطنة بقماش غليظ وشيء من القطن تحاكي الجنة الصغيرة * وبعضهم يلبس ثلاثاً أو أربعاً من هذه الجبب بعضها فوق بعض ولهم حذق فى الفروسية والطعن بالرماح * واذا ذهب أحدمنهم لزيارة آخر يرفع يديه الى السماء ويقرأ سورة الفاتحة وبعد ذلك يتقدم

له المزور قطعة خبز فيأخذها ويقبلها بكل احترام ويضعها في جيبه* ولهم رغبة تامة في شرب الشاي ولا يستنكفون من أكل لحم الفرس ويوجد فيهم بعض من العلماء

وأما التركمان فيلبسون جبباً من البرك ويضعون على رؤوسهم قلنسوة من الفراء تسمى باباق بالباء الفارسية كما ذكرنا * ولهم إهتمام تام بتربية الخيول وخيولهم متولدة من الخيول العربية التي جلبها نادر شاه من نجد* وغالب هذه القبيلة المتوحشة المتبربرة يتعيشون من السلب والنهب ويغيرون على بلاد إيران وأطراف هرات يأسرون الرجال والنساء ويبيعونهم باسم العبيد والأماء مستدلين بأن أسراءهم من الشيعيين يجوز بيعهم لخروجهم عن الديانة الأسلامية * وكثيراً ما يأسرون أشخاصاً من السنيين ويجبرونهم بالضرب والكي على أن يعترفوا أمام الناس بالتشيع كي لا يمتنع أتقياء بخارى عن شرائهم * واتفق ان بعضاً منهم أسر عالماً من علماء أهل السنة من نواحي هرات فكبله بالسلاسل خوف الهرب ومع

ذلك كان اذا حضر وقت الصلاة أطلقه ليأمّ بالجماعة وكان بعد تمام الصلاة يقيده ثانياً * ولما رأى العالم منه ذلك قال له « انت تعلم اني رجل سني فبأي وجه تجوّز أسري وتحلل بيعي » فأجابه بقوله « انك لست بأشرف من القرآن الكريم فكما يجوز لي هبة القرآن كذلك يجوز لي أيضاً هبتك واما البيع فحاشا » * وبالجملة ان هاتين القبيلتين موصوفتان بالظلم والشر خصوصاً الأخيرة غير ان عددها قليل فى البلاد الأفغانية

ومن الطوائف الموجودة فى البلاد الأفغانية طائفة الشرفاء (أولاد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه) ويلقبون فى تلك البلاد بالسيد * وبعض من هذه الطائفة يسكن فى « بشنك » من نواحي قندهار وبعض منها يسكن فى ولاية « كنر » الواقعة قرب جلال آباد ولم يخل شرفاء كنر من الكبراء والعظماء من عهد « بابرشاه » الى يومنا هذا * وللأفغانيين عموماً مزيد اعتقاد بهذه الطائفة واما عاداتهم وأخلاقهم وملابسهم فتماثل عادات

الأفغانيين وأخلاقهم وملابسهم

ومن سكان بلاد الأفغان أيضاً طائفة « قزلباش » وهو لفظ تركي ومعناه أحمر الرأس * وقد لقب بهذا اللقب جميع العساكر الصفوية الشيعيين لأنهم كانوا يعتمون بأمر السلاطين الصفوية بعمائم حمراء وجلّها يسكن فى كابل والباقي منها يستوطن فى قزنه وقندهار* واصل هذه الطائفة من البلاد الأيرانية وقد أتى بهم نادر شاه الى هذه البلاد * ولهم حذق فى الآداب والصنائع والأعمال الديوانية ومن أجل هذا ترى ان المتوظفين فى الأدارة الملكية الأفغانية منهم * وغالب الأُمراء يختارونهم لتربية أولادهم وتعليمهم الأَدب والشعر * ويمتازون بالذكاء والفطنة والنظافة عن بقية سكان البلاد الأفغانية ويتصفون بالشجاعة والأقدام * وكلهم على مذهب الشيعة يقيمون مآتم للحسين ابن على ابن أبي طالب فى العشر الأُول من شهر محرم

ويوجد فى جنوب قندهار قرب « بشنك »

بعض من طائفة البلوج * وهذه الطائفة من أصل فارسي ومن عاداتهم أنهم يرسلون شعورهم ويدهنونها ويحتذون بالنعال ويضعون نجاد سيوفهم حمائل على عواتقهم * وهم موصوفون بالقوة ومشهورون بالسرقة والغارة ومعروفون بالكرم ولا يعرفون من الأسلام الا اسم الله تعالى واسم محمد صلى الله عليه وسلم وبعضهم يعرفون علي رضي الله * واذا قيل لأحد منهم « يا أيها البلوجي هل تصوم » يجيب قائلاً « اني ما سرقت معز النبي صلى الله عليه وسلم بل ان خاننا (أي أميرنا) قد سرقها فنعه النبي (عليه الصلاة والسلام) من الأكل ثلاثين يوماً زجراً وهكذا اذا سئل عن الصلاة يقول « ان الخان هو الذي يصلي » واذا لقي أحدٌ منهم أحداً سواء كان منهم أو أجنبياً عنهم يبتدره بالسؤال عن الخان ثم يحييه بتحيات متتالية تستغرق زماناً ويختمها بقوله « انظر الى طاقتي وسل ما في وسعي تنله » * وبالجملة فهذه الطائفة في غاية الجهل والتوحش والتبربر وغلظة القلب حتى ان فصيلة منها تسمى

(مري) تغير على القوافل وتأبى الاّ قتل رجالها زعماً منها ان الأموال لا تحل مادام أربابها فى قيد الحياة

ويوجد فى البلاد الأفغانية كثير من عبدة الأوثان الهنديين ولهم بها معابد تسمى « در مسال » ولهم خارج مدينة كابل محرقة يحرقون فيها جثث أمواتهم على مقتضى ديانتهم وغالباً يحفظون رمادها ويرسلونه الى نهر القنج * وجلهم على مذهب بابانانك الذى أشرنا اليه سابقاً ويشتغلون غالباً بالتجارة والصيرفة ويجتنبون غايه الأجتناب مس غير المتدين بدينهم ويتحاشون عن تعاطي طعامه وشرابه

واما كيفيـة حكومة الأفغانيين : فالحكومة الأفغانيـة حكومة استبدادية مطلقة ولكن لها نوع مشابهة بالحكومة الشوروية لانها لا يمكن إبرام أمر مهم فيها الاّ بمشاورة رؤساء القبائل * وهي مؤلفة من امير وهو سلطان البلاد : ووزير وهو بمنزلة الصدر الاعظم : و « مستوفي الممالك » وهو بمثابة ناظر المالية والداخلية معاً في سائر الحكومات : و « خازندار » وهو

الذى يناط به حفظ النقود الأميرية : و « ايشيك أغاسي باشي » وهو الذى ترفع اليه عرائض المشتكين ويفصل الدعاوى بين المتخاصمين بأمر الأمير : وولاة : وغالب هؤلاء الولاة من العائلة السلطانيـة ويلقبون بالسردار : وجنرالات وهم رؤساء العساكر وبعض هؤلاء من السردارين : وكتوالين وهم الشحنة أي ضباط البلد * ويوجد فى كل بلد مستوف نائب عن « مستوفي الممالك » وهو لضرب الضرائب وجمع الاموال الاميرية : ومأمورون : وجباة

وأمير الأفغان ليس له أبهـة ملوك الشرقيين وجلالتهم بل يجلس فى ديوان الحكومة المسمى عندهم « دربار » على النمارق الفارسية مع أعيان الحكومة ولا يتميز عنهـم الا بمتكاء يوضع بجانبه ولا يمنع الحاجب والبواب أحداً من الدخول عليـه حتى أسافل الناس * ولكل واحد من أهالي البلدان أن يرفع شكواه اليـه مكلماً اياه مشافهة رافعاً صوته بدون خجل ولا مبالاة

وهكذا سائر الولاة مع الرعية فى الولايات * نعم انه يقف أمام الأمير كثير من الخدم متسلحين بالسيوف والخناجر مهيئين لاجراء الأوامر والنواهي ويركب فى محفة تحملها أعناق الرجال تارةً وفى هودج محمول على الأفيال أخرى * ويجلس مع الأمير فى ديوان الحكومة (خان ملا) وهو قاضى القضاة لفصل الدعاوى الشرعية ويجلس أيضاً مع كل والٍ قاضٍ * ولا يجوز للأمير ولا لاحدٍ من الولاة أن يتداخل فى الأمور الشرعية * ولا يوجد للحكومة الأفغانية قانون سياسي وانما الحل والعقد وفصل القضايا وتعيين الجزاء وتحديد العقاب وضرب الجزية (أي الجزاء النقدي) والحبس والضرب والطرد موكول برأي الأمير * وسائر الولاة يفعلون على حسب ما يتراآى لهم (ولا شك ان هذه الطريقة لا تخلو من الغدر والظلم فى كثير من الاحيان) غير ان العقاب بالمثلة وقطع اليد والرجل قلّما يقع فى تلك البلاد * واما القتل سياسة فلا يقدم عليه الأمير جهاراً الاّ اذا

اتفقت معه اراء كبراء قبيلة من أراد الأمير قتله خوف الفساد وخشية التعصب وإثارة الفتنة * نعم ان الأمير كثيراً مايفعل بعظماء عائلته أفعالاً شنيعة كالقتل والسمل وغيرهما من الفظائع لعدم من يقوم بناصرهم ويأخذ بثأرهم *وكثيراً مايصادر الأمير أموال الوزراء اذا غضب عليهم أو أحسّ منهم بسوء وهكذا يفعل الولاة من العائلة السلطانية مع المستخدمين فى الولايات لاسبب عينه ولا ينجو أرباب الغنى من التجار والزرّاع من هذه البلية*وللأمير أن يتصرف فى الخزينة الأميرية كتصرفه فى مطلق ماله كيفما يشاء * وليس لاحد حق المنع والرّدع بل لايخطر ببال شخص مّا ان الأموال الأميرية ليست من ممتلكات شخص الأمير وانه لايجوز لأميرٍ مّا ان يتصرف فيها الا بالمقدار الذى يجوّزه القانون وترضى به الأمة

ولعدم معرفة الحكومة الأفغانية بواجباتها وعدم وجود قانون يجبرها على موجبات الاصلاح تراها غير

مهتمة بتأمين السبيل وإصلاح الطرق ومنع قطاع الطريق وحفظ القوافل ووقاية السابلة * حتى ان القافلة اذا ارادت أن تذهب من بلدٍ الى بلدٍ فلا يمكنها مالم تكن مؤلفة من مئين متسلحين بالسيوف والبنادق كأنهم جيوش حربية مستعدون للطعن والنزال لا للبيع والشراء ولأجل هذا قلَّت التجارة فى تلك البلاد وصار سوقها كاسداً *

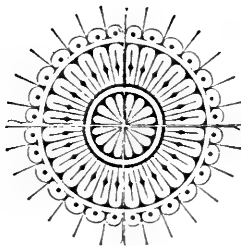
ويوجد في بعض البلاد الأفغانية محتسب لدفع الموبقات وان الحكومة الأفغانية تشبه أن تكون حكومة عسكرية لأن جميع أرباب المناصب الملكية والعلمية وكل المستخدمين من الوزير الى الكاتب المسمى عندهم «ميرزا» ومن قاضي القضاة الى أدنى نائبه تقيد أسماؤهم فى الدفاتر العسكرية وتكون مرتباتهم الشهرية على حسب مايوجبون عليهم إحضاره فى المحاربة من الفرسان للمقاتلة والمناضلة : مثلاً يقرَّر لقاضي القضاة مرتب مائة خيال فيجب عليه أن يحضر فى جميع المحاربات مصحوباً بما فرض عليه من الفرسان متسلحين بأسلحتهم * وان

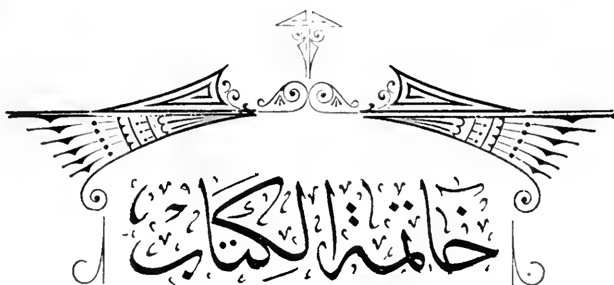
الحكومة تلزم مشايخ القرى والقصبات بجمع عساكر النظام من أرباب العقارات والضياع فيقدم المشايخ رجالاً على حسب مايترا آى لهم من غير قانون ولاضرب قرعة وليس لمدة العسكرية حد معين * واذا كان العسكري تحت السلاح فراتبه الشهري ست روبيات بلا تعيينات يومية وقد يحصل التأخير فى ادائه * ولها ان تجمع فى أوقات المحاربة من سكان البوادي وأهل القرى على حسب كثرتهم وقلتهم مشاة تسمى عندهم « خاصه دار » وفرساناً تسمى اوپره سوار « بالباء الفارسيه » وهي التى تقوم بمؤونتهم مدة المحاربة وغالب هؤلاء الفرسان من الجمشيدي والأزبك * والأمارة الأفغانية وراثية ولكن لايشترط أن يكون الوارث أكبر أولاد الامير فله أن يجعل مَن يشاء من أولاده ولي عهده *ومع ذلك لاتخلو الأمارة الأفغانيه من التقلقل لشدة حرص الطامعين وكثرة شره المفسدين الذين لايألون جهداً فى السعي للتغلب عليها * ولاتوجد

معاهدة دولية بين هذه الامارة وسائر الحكومات وانما تقرر بعض من الشروط بينها وبين الحكومة الهندية الانكليزية فى الزمان السابق

والأموال الاميرية فى تلك البلاد قسمان : قسم يؤخذ من أرباب الزراعة وأصحاب البساتين ومقتني المواشي وهذا القسم يشبه أن يكون زكاة شرعية * وقسم يؤخذ من أرباب الدكاكين والصنائع ومن كل ذكر من طائفة الغلجائي يكون عمره خمس عشر سنة (ضربت على كل ذكر من طائفة الغلجائي روبية جزية عليهم وإذلالاً لهم تؤخذ منه فى كل سنة منذ انتقلت السلطنة منهم الى العبدل قبيلة الامير الحالي)ومن أرباب الجنايات جريمة ومن البضائع الواردة الى البلاد الأفغانية باسم « الجمرك » والرسم الذي يؤخذ بهذا الاسم لا يتقيد بحدود البلاد بل يؤخذ فى كل مدينة وقصبة* ولما كان سكان الجبال غالب الأوقات فى حال التمرد والعصيان فلا يمكن استحصال الأموال منهم الا بالقوة الجبرية

وإرسال الكتائب من العسكرية * ولتوالي الفتن فى البلاد الأفغانية واستمرار عصيان القبائل فلا يمكن بيان المعدل الحقيقي للاموال الاميرية ويظن انها لا تزيد عن مليون ونصف من الجنيهات ولا تنقص عن مليون وربع وهذا المبلغ يصرف فى مرتبات العائلة السلطانيـة * واللغة الرسمية عند الحـكومة هي اللغة الفارسية * ومن عادات الامراء الافغانيين أن يخرجوا يوم عيدي الاضحي والفطر فى موكب عظيم للصلاة خارج البلد وبعد ادائها تضرب المدافع والبنادق ويتسابق امامهم الفرسان على الخيول الجياد * ثم بعد عودهم يجلسون فى الديوان وتمد الموائد وترد عليهم الناس أفواجا للمعايدة





﴿ فى ذكر أحوال البلاد الافغانية اجمالا ﴾

﴿ من حيث الأهوية والابنية والمزارع ﴾

(والصناعة والتجارة والمعادن)

ان البلاد الأفغانيـة لاختلاف أبعادها عن خط الاستواء ووجود الجبال العالية والأودية المنخفضة فيها تختلف أهويتها حرارة وبرودة على حسب المـواقع وتتغير بتغير الفصول والازمان ولكنها جيـدة للصحة لخلوها عن العفونة والفساد وقلّ ماتقع فيها الأمراض الناشئة عن فساد الهواء كالامراض الوبائيـة * وبيوت المدن والقرى طبقة واحدة مبنية غالباً باللَّبِن خالية عن الزخرف والزينة الا مدينـة كابل فان جـل أبنيتها

بالاخشاب والأحجار وقد يوجد فى بعضها حدائق وجداول وحياض * وشوارعها وأزقتها ضيقة معوجة خلا شوارع مدينة قندهار فانها واسعة مستقيمة * والجوامع المشيدة المزخرفة التى كانت في تلك البلاد فى الازمنة السالفة صارت بسبب توالي هجمات الاعداء ودوام المحاربات خاوية على عروشها الا القليل منها * وأما مايوجد منها الآن فانها خالية من الاحكام والمتانة عديمة الزخارف والزينة * وتحيط بالمدن والقصبات أسوار عليها أبراج على الطرز القديم لاتقاوم المدافع وانما هي سد لهجمات الفرسان * نعم ان لكل من مدينة هرات ومدينة كابل مناعة فان الاولى مسورة بسور محصن بأتربة تمنع تأثير أكر المدافع والثانية محاطة بجبال عليها أبراج واستحكامات يمكن بها مدافعة العدو زمناً طويلا

وأراضي الافغان قابلة لانواع المزروعات ترويها أنهر ونهيرات ولكن لكثرة الفتن وعدم مهارة الاهالي في فنون الزراعة واحكام الجسور وحفر الترع وبناء القناطر

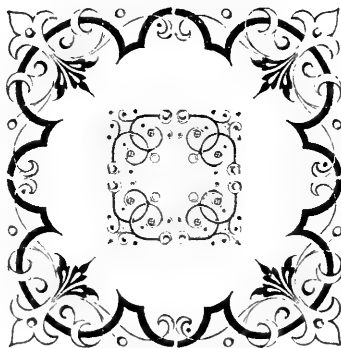
تكون غالب الاراضي معطلة وتذهب الانهر فى الاودية والاراضي المرملة بلاانتفاع تعتدُّ به * ومع ذلك فالاهالي يزرعون البر والشعير والارز والذرة والدخن والباقلة والحمص والبقول والخضراوات وغيرها مما تقوم به معيشتهم ولا يهملون زرع قليل من القطن والتنباك والافيون والحشيشة للتجارة ويسعون بقدر طاقتهم فى غرس الاشجار وتربيتها كالكرم والخوخ والمشمش والكمثرى والتفاح والسفرجل والرمان والجوز واللوز والعناب والفستق والتوت وغيرها واهالي هرات يربون دود القز * ويزرع فى جلال آباد قصب السكر ويوجد فى بعض الجبال الأفغانية كثير من الصنوبر والمصطكى والفستق البري والجميز * وكل الفواكه الموجودة فى تلك البلاد فى غاية الجودة

والصنائع فى تلك البلاد قليلة جدا وهى ماورثوه عن آبائهم من غير اهتمام باجادته واتقانه * فمنها نسيج الأقمشة الحريرية وعمل صنف من الكشمير الغير ملون المسمى

عندهم « بتو » بالباء الفارسية والفراء « الكركـ » من جلود الحمل فى مدينة كابل * ومنها عمل الابسطة الملونة الجيدة فى هرات* ومنها الجوخ المسمى ببرك كما أشرنا اليه سابقاً فى قبيلة هزاره * ويوجد فى كابل وقندهار معامل صغيرة لاصطناع المدافع والبنادق والسيوف

ومعاملات بلاد الأفغان التجارية لم تكن غالباً الا بينها وبين الهند وبخارى وإيران * فالصادر منها الى الهند هو الصوف والقطن والفواكه والنقل بأنواعه تحمل على ظهور الأبل * والى إيران البرك والفراء وصنف من النعال وشيلان الكشمير المجلوبة اليها من بلاد كشمير و «عنبرسر» * ويجلب اليها من بخارى والهند الجوخ وأقمشة الكتان والقطن والشاي والسكر والزجاج والخذف الصيني والقرطاس والفولاذ والحديد والنحاس والزئبق ودود القز والعقاقير وغير ذلك ومن إيران الاقمشة والاسلحة * ويوجد فيها معادن كثيرة ولكن الأهالي غير قادرين على استخراجها والانتفاع بها *

ومنها معدن الذهب فى قندهار ومعدن الحديد فى بلاد « خست وكرم » ومعدن الياقوت فى كابل ومعدن الحديد والكبريت والياقوت واللازورد فى بدخشان* وغير هذه توجد معادن كثيرة معطلة وهذا ماأردنا بيانه فى كيفية سلطنة الأفغانيين ووضع بلادهم وطرق تعيشهم وسرد قبائلهم والله ولي التوفيق



نصيحة الأمير الى ولي عهده

ولدي العزيز لا يخفى عليك انني سلمت لك زمام الحكومة في مدة حياتي وان هذا العمل بلا شك مخالف لنظام الحكومات ومعاملات الدول الاوربية في الغرب والسلاطين في الشرق * ولكن غرضي من ذلك هو أن اعلمك كيف تحكم وكيف تفعل لكي تكون على بصيرة وحكمة حينما يصل اليك المُلك وترقى على عرش هذه الدولة * ولي في ذلك أيضاً غرضٌ آخر وهو أن يعرف مقامك رؤساء القبائل الأفغانية فيخشوا بأسك ويخضعوا لرأيك

والآن أريد أن القي على مسامعك بعض كلمات في قالب النصيحة وأعتقد أنك إذا سرت على خطتها تأمن

على سلامة بلادك ولا ترتكب خطأ فى حكومتك يؤدي الى ضياع نفوذك وهذه نصيحتي اليك

(١) يجب عليك يابنيّ أن تتمسك بمبادئ دينك الشريف فتجعل له المقام الأول وتنظر للواجبات الخاصة به قبل نظرك الى أشغالك وسياستك وبعبارةٍ أُخرى يجب عليك أن تكون قدوة حسنة فى التقى والتدين لكافة أفراد رعيتك

(٢) يجب عليك أيضاً أن توجه عنايتك الى سعادة أُمتك وراحة رعيتك وتوطيد دعائم السلام والسكون فى أرجاء بلادك * ولتعلم ان نجاح البلاد وفلاحها متوقفان على الثروة وأن الثروة والنفوذ لايُدركان بغير وسائط الزراعة والتجارة والصناعة وأن هذه الوسائل تحتاج فى ترقيتها وإنجاحها الى التعليم والتربية العمومية

إن أُمتنا يابنيّ لاتزال فى الدرجة الأُولى من درجات المدنية ولم يوجه أفرادها أنظارهم الى

تحصيل العلوم وتربية الأفكار* ولقد كانت أمیالي القلبية موجهة الى تشييد المدارس وإرسال أنوار العرفان الى سائر الأقطار الأفغانية على طريقة المدارس ودور الفنون الموجودة فى البلاد الغربية* ولكن مثل هذه الغاية لا تُدرك بمجرد الارادة ولا تحقق فى زمنٍ قليلٍ لانها تحتاج الى النمو والترقية التدريجية وحينئذٍ يلزمك أن توجه عنايتك التامة الى هذه النقطة المهمة وأن تعتقد أن من أقدس الواجبات عليك هو أن تبعث فى نفوس رعيتك ميلاً الى التربية والتعليم

(٣) حيث أنك ستستلم زمام الاحكام بيديك وتكون أنت أفضل رجلٍ فى هذه الديار وأسماهم عقلاً وأكبرهم فكراً وأعلاهم مقاماً فلتحسن معاملة أتباعك ومَن تحت حكمك * عامل رعيتك باللطف والمحبة الأبوية ليعتقدوا اعتقاداً ثابتاً فى شفقتك عليهم وحرصك على سعادتهم وإراحتهم إذ

هذا العمل يزيد فى محبتهم لك ويجعلك أسمى مكانة فى أعينهم * ولكن لا يجب أن تعامل الأجانب بمثل هذه المعاملة الابوية لانها تزيد فى جسارتهم ووقاحتهم

(٤) يجب عليك أن تقدر أعمال رجالك ولا تنس فضل الفضلاء منهم فتكافئهم لأن ذلك يقوّي عزائمهم وينشطهم على خدمتك بالدقة والاخلاص والاستقامة

(٥) لتكن بعيداً عن المحاباة والمجاملة فى إنصاف المظلوم من الظالم ومعاقبة المجرم على جريمته ولوكان المذنب ولدك وفلذة كبدك واعرف انك بذلك تسترق القلوب وتستعبدها

(٦) لا تمكن الأجانب من فرصةٍ ينالون بها حقاً من الحقوق أو نفوذاً كيف كان لأنك لو ملكتهم قليلاً من الفرصة فانك تمهد لهم الطريق الى خراب مملكتك وضياع بلادك

(٧) حيث ان الحكومة الانكليزية بقيت معي الى هذا العهد

مسالمة مصافية فكن معها كما كنت أنا * ولكن على أي حال ضع نصب عينيك سلامة افغانستان وإستقلالها

(٨) ليكن من أول الواجبات التى تكلف نفسك بها حماية مصالح رعاياك فى كل حال من الأحوال

(٩) أما مايختص بالمسائل السياسية فيجب عليك أن لاترتكن فيها على وزرائك وأعوانك بل يجب عليك أن توجه اهتمامك لكل شيء صغيراً كان أو كبيراً بنفسك

(١٠) وأما مايتعلق بالمسائل الحربية فاعلم أنه يلزمك أن تكون قواتك الحربية على قدم الاستعداد كأنما تريد أن تزحف بها في الغد الى ساحة القتال لمحاربة دولة أقوى منك جاشاً وأكثر منك عدداً وعدداً * واعلم يابني أن الأيام علمتنا دروساً يجب أن نستفيد منها فقد عرفنا أن من أول الضروريات أن يكون الجيش دائماً على أهبة الاستعداد التام * ثم

لا تنس زيادة الآلات والذخائر الحربية فى زمن السلم لأنه كما لا يخفى عليك من الصعب أن تزوّد جيشك بما يكفيه من المؤونة والذخائر والآلات فى زمن الحرب

(١١) يجب على الملوك أن يجتهدوا فى جذب قلوب الجند وازدياد محبتهم لهم * فاجعل جنودك سعداء مرتاحين فيحبوك فلا يتأخرون للوراء فى ساعة يفيدك فيها ان يضحوا حياتهم حباً فيك وحرصاً على سلامتك * واعلم ان الجنود يبيعون أرواحهم الغالية بمرتبات قليلة تعطى دائماً فى مواعيدها واذا لم تسر معهم على هذه الخطة فانهم يضنون فى ساعة شدّة أن يبيعوك أرواحهم بثمن أغلى قيمة وأسمى

(١٢) يجب أن تعلم يابنيّ أن بيت مال الحكومة هو ملك الأمة وليس مقام السلطان أو الأمير تجاهه الاّ مقام الحارث الامين على مافيه * فاذا ابتدأ الحاكم بصرف المال المودع عنده على مصالحه ومطالبه الخصوصية فانه يكون خائناً لمن ولّوه الامانة

وسلموه القيادة واعتقدوا فيه الاستقامة * ومن المقرر المعلوم أن الخائن لا قيمة له في أعين الأمة مطلقاً وأنه مبغض عند الله وعند الناس أجمعين * ويجب أن يكون بيت المال دائماً ممتلئاً لأن ضعف الحكومة يظهر فى قلة مالها أكثر من ظهوره فى شيء آخر * كذلك يلزمك ان تدقق فى ضروب المصروفات والايرادات وكل ما يزيد يضم على بيت المال بالتوالي ويجب عليك أن تعمل كل ما فى إمكانك من الوسائل لزيادة ثروة بيت المال لكي تتمكن من إنجاز الأعمال التى تريد إنجازها سواء كانت حربيه أو سياسية أو تجارية أو صناعية أو تعليمية فى الأوقات المناسبة لها لأن الزمن يابنيّ يحتاج الى كل هذه الاعمال والسير على هذا النهج القويم لكي تعيش آمناً مطمئناً قوياً عزيز الجانب

تم طبعه فى ١٣ شوال سنة ١٣١٨ هجريه وقد جاء فى السطر ١٦ من صحيفة ١٥٤ كلمة «مريضاً» وهذا خطأ والصواب مريض